عزف منفرد...

مجموعة مقالات للكاتب

سمير محمد عالم

الطبعة الأولى
2023

عزف منفرد

الطبعة الأولى ٢٠٢٣

ISBN: ٩٧٨٩١٨٩٢٨٨٦٥٢

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية:

٣٢_١٧ ٢٥_٠٤_٢٠٢٣

الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم

السويد، فاستراء جوتالند

البريد الإلكتروني:

digitizethearabicbook.com

© جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى

عزف منفرد

مجموعة مقالات للكاتب

سمير محمد عالم

الطبعة الأولى
٢٠٢٣

الإهداء

إلى والدي

الرجل الذي رباني على القيم والأخلاق

وسقاني من فلسفاته التي صاغها عبر
خبرته في الحياة

كنت نعم الأب

فرحمك الله يا والدي رحمة واسعة
وجعل الفردوس الأعلى مسكنك

المحتويات

مصدر الضوء	٧
مراهق في الخمسين	١٢
قيمة	١٥
سلطنة من العيار الخفيف	١٨
مشاهير	٢٢
قليل من الرقي رجاءً	٢٦
مجانين أحرار	٢٩
سيدي المثمر!	٣٢
لغة النجوم	٣٥
مرآة الحكمة	٣٩
رذاذ عفن	٤٥
فوق جهل الجاهلين	٤٨
الخلود	٥٢
واقعية الافتراضي	٥٦
تفكير ثلاثي الابعاد	٦١
مصطلح الإنسانية	٦٤
حُجة البليد..!	٦٨
البيضة أولا أم الدجاجة..!؟	٧٢
كزهرة الهندباء	٧٧
خذ اللقطة	٨١
قلم حبر سائل	٨٤

المحتويات

عيب عليك	٨٨
حمل خارج الرحم	٩١
إن فلح الولد	٩٥
حقائق موضوعية	٩٩
الشك المؤدي إلى؟	١٠٣
مهد نيوتن	١١٢
أزمة ضحك	١١٦
لنتفق	١٢١
السيدة ريشة	١٢٥
لا تعبثوا بالنقط	١٢٩
قيم عصرية	١٣٤
الأحدث.. إلى مالا نهاية	١٣٩
المنطق.. الحاضر الغائب	١٤٥

مصدر الضوء

(أمثولة الكهف) هي أمثولة صاغها أفلاطون قبل ٢٤ قرناً من الزمان، بسيطة في ظاهرها، عميقة في معناها، تتحدث عن المنطق، وعن الوعي الغائب لدى الأفراد والمجتمعات.

بعد قراءتك لها؛ ربما ستبتسم؛ عندما تجد مدى مطابقتها لحالات نواجهها باستمرار في حياتنا اليومية، وبالرغم من إمكانية تصور هؤلاء المغيبين عن إدراك الحقيقة كضحايا؛ إلا أن المنطق والعقل لا يستسيغ تبرئتهم؛ من بعد النظر إلى مواقفهم الحادة والهجومية التي يتخذونها؛ للدفاع عن فهمهم الخاطئ.

في هذا الأمثولة؛ تصور أفلاطون عدد من الأطفال اللذين يتم احتجازهم وتربيتهم داخل كهف مظلم طوال فترة نشأتهم، مع وجود مصدر ضئيل للضوء، متمثل في نار مشتعلة من خلفهم،

وخلال تلك الفترة، يتم بناء ثقافتهم ومعرفتهم عبر عرض مجموعة من الصور بطريقة خيال الظل، مستخدمين مصدر الضوء (النار)

وطوال سنوات؛ يتم تلقينهم معلومات مغلوطة، وعكس الحقيقة عن تلك الصور، وذلك بتسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية.

وكان من المنطقي أن ينشأ الأطفال وهم مقتنعين بصدق معرفتهم، وأن كل ما تعلموه، وبنوا معرفتهم عليه؛ يمثل الحقيقة المطلقة.

ولكن بعد أن كبر الأطفال؛ قرر أحدهم إتباع مصدر الضوء المنبعث من خارج الكهف؛ واكتشاف ما يوجد هناك.

مشى نحو ذلك الضوء، وكان من الطبيعي أن يشعر بألم شديد في عينه من جرّاء تعرضها للضوء الساطع لأول مرّة، وخلال تلمسه لطريقه نحو الخروج، ومعاناته من الألم؛ كان أقرانه يتابعون مسيره وسط نداءات له بالتراجع؛ خوفاً من المجهول ألذي ينتظره بالخارج، وشفقة بحاله نتيجة ما يعانيه من الألم، لكنه واصل السير حتى خرج، وبدأت عينة تتأقلم مع الضوء رويداً، رويداً، وتفاجأ بأن العالم الخارجي مغاير تماماً

لما أعتاد عليه، وأن ما تعلمه طوال حياته كان خطأ، وأن الحياة خارج الكهف أجمل بكثير من داخله، فأراد العودة إلى أصدقائه لدعوتهم للخروج، ولكنه واجه رفضاً قوياً من طرفهم، ووجهوا له الاتهامات؛ بأنه يسعى لإيذاء أعينهم بتعريضها للنور الساطع... انتهى

لو أسقطنا هذه الأمثولة البسيطة على الحياة المعقدة التي نعيشها؛ لوجدنا أنها الحقيقة التي تنطبق على الكثيرين، فبعد ٢٤ قرناً من كتابة هذه الأمثولة، وبعد أن هجر أسلافنا حياة الكهوف من عشرات آلاف السنين؛ لا يزال العديد من البشر يعيشون في كهوف جهلهم، وظلام وعيهم.

وبعد ما يزيد عن الـ ١٤٠٠ عام من ظهور الإسلام، لا يزال هناك من يسيء فهم نصوصه، ويجهل أن الإسلام كان دين تحضّر، وتفكّر، ويرفض التبعية، ويصف من يكون مسلوب الرأي والفكر بالإمعة.

البعض منا يعشق حياة الجهل والظلام، ويستمتع بخموله الفكري، وغير مستعد البتة للتأمل قليلاً في أي فكر مخالف لما نشأ عليه، وتشبع به، ويملك في رصيده اللغوي

الكثير من المصطلحات لاتهامك، والرمي بها عليك، مع اعتقادي الجازم بأنه قد يجهل معناها أصلاً، إنما هو يرددها كما سمعها من هذا وذاك.

ولو قدّر للإنسان أن يسكن يوماً ما على سطح المريخ، أنا على ثقة تامة؛ من أنهم سيبحثون هناك عن كهوف جديدة ليسكنوها.

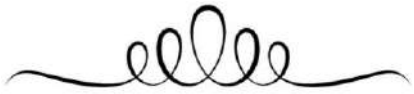

شذرات

النور يدلك على مكان وجوده

قادر على التسرب والدخول

من خلال أضيق الشقوق

عليك فقط أن تفتح عينك لرؤيته

وقلبك لاستشعاره

مراهق في الخمسين

بالرغم من رفضي؛ إلا أنني قد أتفهم بعض ممارسات الشاب في مرحلة المراهقة، وميوله نحو التقليد للأحد المشاهير، أو (للتقاليع) التي تنشر فجأة ومن ثم تختفي.

سواء من قصات الشعر، أو ارتداء الملابس الغريبة، وحتى ارتدائه للقلائد وما شابهها، كل ذلك أعتبره ناتج عن التغييرات التي يمر بها الإنسان في مرحلة من حياته، ومن ثم تعود الشخصية للاتزان، وتتشكل بصورتها المنسجمة مع محيطها الاجتماعي.

أما ما لا أستسيغه؛ فهو أن أرى رجلاً قد تجاوز الخمسين من عمره أو يكاد، وتبدو عليه سمات المراهقة، يرتدي الشورت، ويجمع شعرة المتبقي بعد سنوات من التعرية الطبيعة بربطة (بكلة) ويخرج مختالاً بكرشه في كل مكان، ولا مانع

من ارتداء بعض (الإكسسوارات) المكملة لأناقته، من خواتم تحمل منحوتات للجماجم.. ليبدو في غاية الإثارة للغثيان.

وربما صورت له أحلامه؛ بأنه قد يمسي نجماً في أحد برامج التواصل، ويتفاعل بمقاطع صبيانية؛ تزيد من رونقه السخيف، لينعم بمتابعة المراهقات له.

كل ذلك حاصل ونراه جلياً في الأماكن العامة، ومن خلال ما نشاهده، مما يصلنا من المقاطع المصورة، ودون استحياء أو شعور بالخجل!

فمن وجهة نظره؛ الحياة تبدو جميلة؛ ولابد من أن يعيشها، متجاهلاً ما بلغه من العمر، وغافلاً عن هيئته التي لا تتلاءم بتاتاً مع خيالاته عن نفسه.

ومع بلوغه لهذه السن؛ قد تكون له أسرة متشعبة من أبناء وأحفاد، فأين وقار الشيب من ذلك! وأين هيبة الحكمة! وأين نجد فيه ما يؤهله ليكون قدوة؛ لجيل سيتربى على مثل هذه الأخلاقيات..!

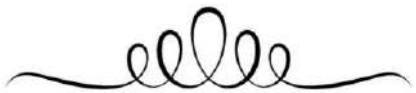

شذرات

المسافات قد تكون لغة لا تحتاج إلى تُرجمان

كلغة الجسد تماماً تُقرأ ولا تُكتب

قيمة

عندما أتوجه لمحل البقالة؛ وأشتري بعض الحاجيات، ومحصلة حسابي النهائي تتضمن كسر من الريالات (نصف ريال) فإنني غالباً ما كنت أتنازل عن حقي في النصف الآخر للبائع، وفي بعض الأحيان؛ أقوم باستبداله بمنتج قد لا أكون بحاجته فعلياً، وكل ذلك بسبب أنني استثقل حمل ذاك النصف المعدني في جيبي، وهو لا يمثل بالنسبة لي أي قيمة فعليه؛ تستحق مني أن أحمله من أجله.

لم يخطر ببالي ولو لمرّة واحدة؛ أن أشعر بشعور ذاك النصف، وما قد أتسبب به له من جرح لكرامته، أو أنني أخلق لديه شعور سيء بالدونية، وتشعره بأنه لا يعني لي الكثير، ففي نظري أن أنصاف الريالات متوفرة بكثرة، ومتى كنت بحاجة لواحد منها؛ أمكنني الحصول عليها وبكل سهولة.

أجزم بأن الكثير منكم يقوم بنفس الشيء، ويحاول التخفيف على نفسه من وزن إضافي قد يحمله في جيبه؛ دون جدوى تذكر، ولكن المؤسف أن يتعامل البعض مع مشاعر البشر بنفس هذه الرؤية، ويقيم مشاعر الآخرين بما يساوي النصف ريال، ويستثقل حملهم في قلبه بدعوى عدم حاجته إليهم.

قلوب الآخرين لم تخلق من معدن عديم الشعور، فالقلوب أرق من ذلك بكثير، وكلمة أو تجاهل بسيط؛ قد يؤثر فيها دون أن ندري.

وكم من قلوب تتألم في وحدتها؛ بسبب إهمال شخص لها! شخص كان يمثل لهم قيمة، لا يمكن قياسها بالأرقام التي تستخدم لحساب الكميات أو الأوزان، إنما لها قيمة إنسانية وعاطفية.

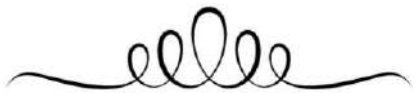

شذرات

كن سماوياً

ولو كنت من طين

فبعض التراب يحوي

تبر الذهب

سلطنة من العيار الخفيف

سأستهل حديثي هذه المرة بعبارة شهيرة تقول: "أن الفن ولد في اليمن، وترعرع في الحجاز، وبكى في العراق، ورقص في مصر والشام، ومات في؟؟"

ولن أذكر مكان وفاته؛ حرصاً مني على عدم إثارة أي حساسيات لدى أي أحد.

ولكنني أتساءل حقاً، هل لازال الفن حياً، أم أنه قد مات منذ زمن، ومن الواجب أن نقيم له شاهد قبر في كل مكان؟!

عندما أتابع مشاهد من حفلات السيدة أم كلثوم؛ يلفت نظري حقيقة تلك الجماهير التي تجلس بكل وقار متسمرة على مقاعدها، وهي بكامل أناقتها، هائمة مع ذاك السحر الذي يتسلل إلى نفوسهم، فتهتز رؤوسهم طرباً وسلطنة.

تلا أولئك؛ جيل في التسعينات الميلادية، يأتي إلى الحفلات الغنائية، مرتديا (شورت وتيشرت) ولا يعرف من الطرب؛ سوى هز الخصر، رجال كانوا أو نساء!

جيل من الفنانين ظهر؛ وأتخذ من الأغنية الشبابية لون ليؤديه، فكانت شهرتهم بعمر أغنياتهم، يظهرون فجأة، فيلوثون سمعنا بدرزينة من الأغاني الهابطة؛ ومن ثم يأفل نجمهم، ولا نعود نسمع عنهم شيء، ولكنهم يمثلون حلقة في مسلسل انحدار الذوق العام، والمتمثل في الكلمة التافهة، واللحن الهجين، والصوت الرديء.

حقيقة؛ توقفت ثقافتي الفنية عند منتصف التسعينات الميلادية، فلا أعرف بعدها الكثير من الأسماء الموجودة على الساحة، والتي تتغير باستمرار وبشكل سريع، بحيث بات الوقت لا يسعفنا لحفظ أسمائهم؛ إلا وظهر على الساحة أسم جديد.

أغنيات الزمن الجميل؛ كانت تفيض رقة وعذوبة، تصف جمال الحب، ولذة العطاء، ومرارة الشوق، وتعلمنا أبجديات العشق النقي، وأن الوفاء سمة المحبين.

أما أغنيات زمن المصالح؛ فتتغنى بالقسوة، وتغرق في الأنانية وحب الذات، وتتحول الأغنية إلى ساحة معركة، لتقف قبل البدء بكيل الشتائم بخطوة.

الفن يشكل ثقافة المجتمع، ويرفع مستوى الذائقة لدى الناس، وحين تنحدر الكلمة إلى مستوى أدنى من مستوى الذوق الرفيع؛ سنرى جيلاً يهوى الاستماع للإيقاع الصاخب؛ أكثر من التمعن في الكلمات، لأنها لم تعد تعني شيء.

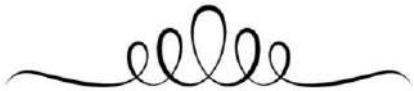

شذرات

الرواية

التي يؤلفها الأديب

إن لم تحمل رسالة وقيمة عميقة

فهي مجرّد سرد

لأحداث

مشاهير

كلما ظننا أننا قد بلغنا القاع، نكتشف أن القاع قادر على الاتساع؛ ليستوعب كل جديد، ويحتوي كل طموحات التافهين.

فضاء يعج بالتفاهة تحت مسمى الترفيه، وكلاً له طموحات نحو الشهرة، وكل الوسائل مشروعه، والسباق محتدم نحو الانحدار.

كلما كنت أتفه؛ كلما حظيت بشهره أوسع، وربما هذه هي القاعدة السائدة والملحوظة، وعداد المتابعين يهرول صعوداً، وعداد الذوق ينحدر نزولاً.

في الماضي؛ كان طريق الشهرة صعب المسالك، ويضيع فيه الكثير من المبدعين؛ بسبب العوائق، ونقص الدعم والتشجيع، وحين فتحت أبواب الشهرة للجميع؛ وجدنا أن المبدعين لا زالوا لا يجدون لهم أماكن إلا في الهوامش، ولكن لأسباب مختلفة

هذه المرّة، وهو تدني الذوق العام، الذي يرحب بكل ما يفتقر للقيمة الفعلية.

المعادلة بسيطة جداً، وبخطوات سهلة، فقط أنشئ حساب على أحد البرامج، وابدأ طريقك للشهرة، وواصل صعودك للأسفل، وفي فترة وجيزة ستصبح أحد المشاهير.

نخطئ حين نظن أننا كآباء؛ نملك كامل السيطرة على الأبناء، وأننا الوحيدون الذين نقوم بتربيتهم، وغرس قيمنا الخاصة في نفوسهم.

فهناك العديد غيرنا؛ ممن يسهمون في تربية أبناءنا، دون أن ندرك ذلك، ودون أن تكون لنا السيطرة الكاملة عليهم، ومهما جاهدنا في سبيله؛ ستضل هناك فجوة بين الجيلين، ونحن غير قادرين على تقليصها لصالحنا.

أعداد الناشطين تزداد باستمرار، ونحن نجهل للأسف خلفياتهم وثقافتهم، ولكن المادة المقدمة من الغالبية بدون قيمة، وغير صالحة حتى لوصفها بأنها ترفيهية، وتفتقر إلى الرقي، حتى على المستوى اللفظي المستخدم، وهي بكل بساطة لغة شوارع.

حرمان الأبناء من ممارسة رغباتهم في استخدام الأجهزة الذكية ليس حلاً، وكذلك إمكانية المتابعة المستمرة من طرفنا كآباء؛ يعتبر مقترح ضارب في المثالية؛ ولكن تطبيقه مستحيل، وبرأيي أن الوسيلة الأفضل هي صرف اهتمام الأبناء عن مثل هؤلاء، وتوجيه اهتمامهم لمواد ترفيهية أكثر رقي، وأكثر فائدة، وان اتسمت بالبساطة، فستكون أقل ضرراً من أفراد لا تحكمهم أي رقابة على ما يقدمونه.

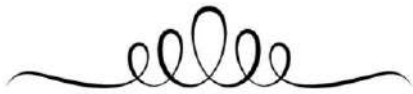

شذرات

البالون المنفجر

هو ضحية طموحات التضخم

الغير لائق بالحجم

قليل من الرقي رجاءً

بداية؛ أود توضيح موقفي الرافض من مسألة مصادرة الأفكار والآراء، وفي نظري أن للجميع الحق في إبداء الرأي، والحوار، والنقاش، ولكني قد أناقض نفسي أحياناً، وأرى أنه قد يكون من الصواب مصادرة بعض الأفكار؛ بل والحجر عليها.

في عصر الانفتاح الذي نشهده، وتوفر وسائل التواصل بشكل سهل للجميع، من كبير وصغير، مثقف وجاهل، راقي وسوقي؛ باتت المشاركة بالأفكار والآراء متاحة للجميع، دون حسيب أو رقيب، ودون توفر معايير تقييم من بإمكانه أن يتحدث في شؤون العامة من عدمه.

الجميع بات يشارك بطرح الأفكار، والجميع بإمكانه التعليق عليها بالموافقة أو الرفض، وجميعنا نشهد كيف تتحول فكرة صغيرة طرحها أحدهم؛ إلى قضية كبيرة، وساحة معركة

مسموح فيها باستخدام كافة الألفاظ، وتجاوز كل الخطوط الحمراء، وتتشعب لتنال من الأعراض، والأنساب، والمذاهب.

حين يكون الخلاف فكرياً، ويدار النقاش بشكل منطقي؛ فلا بأس من الاختلاف، ولكن النقاشات على ساحات (السوشيال ميديا) لا تسير بهذا الشكل إطلاقاً؛ بل على العكس، بتنا نشاهد فنونا في الردح، وصياغة العبارات البذيئة والاتهامات.

لدينا العديد من التصنيفات الاجتماعية، والعرقية، والطبقية، لكننا إلى الآن لم نبتكر تصنيفاً على مبدأ الفكر والرقي، لنفرز من خلاله أصناف البشر؛ كبشر متحضرين أو عكس ذلك.

وكل من يمارس هذه العنتريات على ساحات (السوشيال ميديا) أو في الشارع، يمارسها دون أي إحساس بالخجل.

مبدأ التحضر والرقي؛ مبدأ بعيد جداً عن اهتمامات البعض، وتعد الممارسات الهمجية ضرباً من ضروب الشجاعة والإقدام بالنسبة إليهم، وانتقلت هذه الأساليب تدريجياً وتسللت من الشارع إلى هواتفنا المحمولة، بحيث بتنا نعاني من هذه الفئة حتى في عزلتنا.

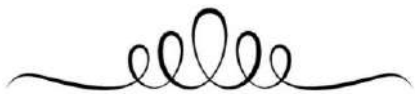

شذرات

قراءة ما بين السطور

متعة لا يدركها الكثيرون

فهناك نلتقي بروح الكاتب وعقله

وهناك تكمن الحقيقة

مجانين أحرار

المساواة كلمة قد تثير حساسية البعض، فمجرّد لفظ هذه الكلمة بحضرته؛ تعد انتقاصاً سافراً لمكانته العالية.

إنه المتفرّد مكانة، حسباً، ونسباً، ومن غير اللائق مساواته بغيره من البشر، رجلاً كان أو امرأة.

وكلمة المساواة بالنسبة إليه؛ كلمة قد تصف حال كل من هم دونه، فهم متساوون بالفعل في مكانتهم المتدنية عن مكانته الرفيعة.

جنون العظمة والغطرسة؛ تعمي أفئدة وبصيرة أمثال هؤلاء من البشر، وتطبع على قلوبهم فلاً يعودون يفقهون حديثا، وإن ذكرتهم بآيات الله أخذتهم العزة بالإثم.

مقاييسهم لتصنيف البشر ذوي الشأن الرفيع؛ تدور في

حلقة أصحاب الثروة، والجاه، والنسب، أما الخُلق والثقافة؛ فهي كلمات يصعب أن تجد لها مرادفات في قواميس عقلهم الباطن.

يصعب علي تخيل وجود أمثال هؤلاء يتجولون بحرية خارج أسوار المصحات العقلية! لأنهم بالفعل بحاجة ماسة للإرشاد السلوكي، والعلاج النفسي.

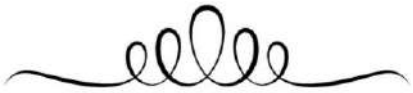

شذرات

يعجبني ذاك الشخص

الذي يحاول رسم شخصيته المتفرّدة

وينسج فلسفاته الخاصة من واقع تأملاته وتجاربه

ويهدف من وراء القراءة إلى زيادة معارفه فقط

لا أن يستنسخ أفكار الآخرين ويرددها

سيدي المثمر!

البعض للأسف؛ يحصي نجاحاته بعدد الحجارة التي تلقاها؛ على مدى مشواره في مسلك ما، مسترجعاً في ذهنه؛ العبارة الشهيرة التي تقول: (بأن الشجرة المثمرة ترمى بالحجارة)

لا يا سيدي المثمر، فهناك مواقف كثيرة تستدعي منا أن نجهز في أيدينا الحجر؛ استعداداً للقذف به في وجه من يثير الجلبة والصخب حولنا، دون سبب مقنع، أو فائدة تذكر.

فهناك العديد ممن يستحق كلامهم الرد والتسفيه، لفساد فكرهم ومنطقهم، ولافتقارهم إلى ما يقدمونه، ناهيك عن كونه قد يكون فكراً منحرفاً وضاراً في أصله.

قد يخالف البعض فيعرف، ولكن ليس بالضرورة أن يؤدي كل اختلاف إلى نتيجة مستحسنة.

المثقف الفعلي؛ هو من ينهل من المعارف والثقافة، ثم يصيغ فكره الخاص في إطاره المقبول عرفاً، وشرعاً، وعقلاً، والمبدع من يتعلم الفنون والعلوم، ثم يتخذ لنفسه خطاً مميزاً، لا أن يردد أقوال الآخرين؛ ويكرر ما ابتكروه، ثم يتبجح بأنه ينطق بالحكمة.

مكانة الفرد منا في المجتمع؛ تبنى على أساس مدى ثقافتنا وخلقنا، واستعدادنا للعطاء، ليس بناء على ما نتفوه به ليل نهار؛ لنقنع الآخرين بأننا على درجة من الوعي، فبعض الحديث يفضح صاحبه، ويعريه ويجرّده من الهالة التي يحيط بها نفسه، وهنا يكون الصمت أسلم لحفظ ماء الوجه.

وجود إصدار مطبوع باسمك؛ شيء في غاية الروعة، ولكن هذا حكم مبدئي، والحكم النهائي بعد التصفّح، ويعتمد على المحتوى الذي يقدمه الكتاب، ورفوف المكتبات مليئة بالنماذج التافهة، التي كتبت لها الحياة تحت إغراءات المادة، التي قد تصنع المستحيل أحيانا... وربما غالباً.

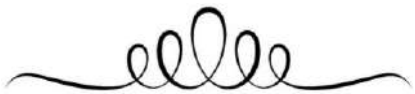

شذرات

هناك شعارات

من كثرة تداولها

تغدو كالعلكة التي فقدت طعمها

من طول العلك

لغة النجوم

كثيراً ما تتردد عبارات عن أن هناك فجوة ما، بين المثقف وعامة الناس، ومن يطلق تلك العبارة؛ يطلقها من باب التهكم على المثقفين، بوصفهم أناساً يسكنون في أبراج عالية، ولا ينزلون عنها إلى مستوى الطبقات الأخرى، ليسهل فهمهم.

حقيقة من وجهة نظري؛ أرى أن المشهد من الأعلى دائماً ما يكون أشمل وأوضح، للمساحة التي ننظر إليها، ونرغب في مراقبتها؛ لفهم ما تبدوا عليه بشكل أفضل.

فالمخالطة والتماهي مع حدث ما، أو مع جماعة ما، قد يمنحنا رؤية من العمق، ولكنه قد يبتلعنا، ويجعلنا جزءاً من نفس المشهد، وغير قادرين على تكوين الصورة الكاملة التي نسعى للحصول عليها.

هناك رأي يقول؛ بأن الكتّاب والفلاسفة، ومن يمكن

وصفهم بالمثقفين، هم من يمثلون الشرارة الأولى في أي مجتمع لانطلاقه نحو التطور والتحديث، فهم من يمكنهم فهم المجتمعات، وتلمس نقاط الخلل فيها؛ وبالتالي وضع الوصفة العلاجية المناسبة، إضافة إلى ما قد يمثلونه من رمزية ملهمة للآخرين بأفكارهم، وقيمهم الثابتة والمحفزة.

تعد فلسفات كونفوشيوس؛ هي الفلسفة التي شكلت ثقافة ووعي شعوب جنوب شرق آسيا والصين على وجه التحديد؛ على مدى ما يقارب العشرين قرناً الماضية، نظراً لما تضمنته من حكمة وأفكار معتدلة، تسعى للارتقاء والسمو بالفرد، ومن يعود إلى تاريخ الكونفوشيوسية؛ سيكتشف أن أفكاره قد قوبلت بالرفض، وأن الكتب التي تحوي حكمته وفلسفاته؛ حرقت وصودرت، ولكنها تفوقت في النهاية؛ لأنها تمثل المنطق والحقيقة.

وهل يمكننا اعتبار ما كان يلجأ إليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الاعتزال في غار حراء؛ نوعاً من التعالي!

بالطبع لا؛ بل هي كانت رغبة للنأي بالذات عما قد يلوث نقاء وسمو نفسه؛ التي كان يتمتع بها نبينا، حتى قبل أن ينزل عليه الوحي.

قد تشكل مسالة مطالبة من يجلسون بالأعلى؛ ويمدون أيدهم لمن هم بالأسفل؛ لانتشالهم من الجهل، وحثهم للنزول عن أبراجهم؛ فكرة في غاية السذاجة.

ونفس الوصف ينطبق على من يطالبون بتبسيط اللغة المستخدمة؛ ليسهل فهمها، فمن ارتقى في درجات الحكمة والمعرفة؛ لن يستسيغ مجدداً التواجد في وحل الجهالة.

منذ القدم؛ والإنسان يتطلع بنظره نحو النجوم، ويحلم ببلوغها وملامستها، وكذلك هي الحكمة؛ التي لا يليق بها؛ إلا أن تكون في الأعلى.

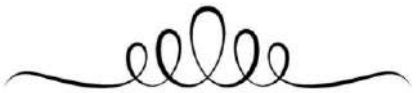

شذرات

في النقاشات

التي تدور بينك وبين الآخرين

تعّود أن ترد بعبارات

تصلح لأن تتبعها بنقطة في آخر السطر

حتى توفر على نفسك عناء الاستمرار

في جدال عقيم

مرآة الحكمة

كيف تكون الأمثال الشعبية الدارج استخدامها بين الناس مرآة لكثير من تفاصيل الحياة، وكيف لها أن تكون أحد المصادر التي يستعين بها الدارسون في مجالات مختلفة؟

الأمثال الشعبية؛ هي نتاج تجارب الناس، ومقياس للوعي في مجتمع ما، ومن خلالها يمكننا فهم بعض التفاصيل، واستنباط نتائج متنوعة.

كما أنني أعتبر انتشار الأمثال الشعبية وكثرتها في مجتمع معين؛ دليل على مستوى الحكمة التي يتمتع بها ذلك المجتمع.

من ضمن قراءاتي للكتب؛ قرأت كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) لكاتبه شهاب الدين الابشيهي، والذي عاش في مصر في القرن التاسع الهجري، وأفرد أحد الأبواب في كتابة للأمثال الشعبية في زمانه.

وما شدني في ذلك؛ وحفزني لكتابة هذا المقال، هي الأمثال التي قرأتها، والتي لا يزال البعض منها حياً على السنة الناس حتى وقتنا الراهن، ولازالت الناس تتناقل تلك الأمثال، بالرغم من مرور ما يقارب الـ ٥٠٠ عام على تأليف هذا الكتاب.

وربما استخدمت هذه الأمثال قبل أن يقوم المؤلف بتضمينها في كتابة منذ زمن طويل، ومنها: (إذا كان صاحبك عسل، لا تلحسه كله) و (صباح الخير يا جاري، أنت في دارك، وأنا في داري) و (ألف ذقن ولا ذقني) وقد أوردت البعض منها على سبيل الاستشهاد لا الحصر.

كيف عاشت تلك الأمثال، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد آخر، بالرغم من التغيير الذي قد يطرأ على حياة الناس في كل عصر؟!

ولكن يبقى الإنسان هو الإنسان، حتى إن طرأ تغيير على أسلوب حياته، وتنوعت أدواته المستخدمة في حياته اليومية، وتنوعت حتى المواد التي يأكلها، والتي تنعكس بشكل أو آخر وتوظف ضمن الأمثال والحكم.

فالخصال الحسنة أو السيئة في بني البشر؛ لم تتغير

منذ بدء الخليقة، ربما تزيد أو تنقص حدتها في كل مرحلة؛ بناء على الحياة التي تكون متغيرة، وعلى الظروف المعيشية في كل مرحلة، فترتقي الأمم أو تنحدر بناء على تلك الظروف، والتي تشكل السياسة، والمستوى الاقتصادي، في كل مرحلة عوامل رئيسية في ذلك، وكيف لها كذلك أن ترتقي بأسلوب التعبير والألفاظ المتداولة بين الناس أو تنحدر.

ومن جهة أخرى؛ نلحظ من خلال الألفاظ المستخدمة؛ التغيير في اللهجة، والتي بدأت بالتحول من العربية الفصحى للعامية بشكلها الحالي، وأن تلك اللهجة بدأت بالانتشار منذ خمسة قرون أو أكثر.

ومن الأمثلة على ذلك (عجوزة وخرفانة، دي داهية كمانة) و (هش يا دبانة، أنا حبلى من مولانا) ونلحظ أن المؤلف قد أوردها في كتابه؛ كما كانت تلفظ على لسان الناس في عصره، وكيف يتم تبديل حرف الـ (ذ) بحرف (د)

وأحد الأمور التي لفتت نظري، هي مسألة انتقال الثقافة المحلية من منطقة لأخرى، ومن شعب لآخر، وعدم بقائها حبيسة داخل حدودها الجغرافية، فقد أورد الأستاذ / أحمد السباعي في كتابه

(الأمثال الشعبية في مدن الحجاز) عدداً كبيراً من الأمثال المتداولة في حواضر الحجاز قديماً، ونلحظ أن بعض من تلك الأمثال قد أوردها الأبشيهي في كتابه، مثل (لو تقطع يده وتدليها، من فيه خصلة ما يخليها) وأوردها السباعي بلفظ (اقطع أدن الكلب ودليها، واللي عنده خصلة ما يخليها)

ولو توسعنا في البحث؛ سنجد أن نفس تلك الأمثال موجودة في مناطق عربية أخرى، وربما لن نتمكن من تحديد مصدرها بدقة، والجهة التي انتقلت منها إلى الأخرى.

في عصر انعدمت فيه وسائل متطورة للانتقال والتواصل؛ تمكنت تلك الثقافات من الالتقاء والتمازج، عبر تنقل البشر وترحالهم لأغراض شتى، وعبر هجرات متوالية على شكل جماعات أو أفراد، ولكن ما يميز ذلك التمازج؛ هو حدوثه بشكل بطيء وغير ملحوظ.

بينما نجد أن ذلك الالتقاء يحصل في عصرنا بشكل أسرع، مما أحدث بعض الصدامات، ورفض البعض تقبل أي ثقافة أخرى؛ بدعوى الحفاظ على خصوصية الثقافات المحلية، ومعتقداً أن الثقافات المحلية؛ هي ثقافات لم تستقِ أياً من مكوناتها

من أي ثقافة أخرى، وهذا ينافي المنطق في واقع الحال.

فالبشر هم أقرب إلى بعضهم مما يظنون، وإن اختلفت ثقافاتهم، وألسنتهم، وألوانهم، ففي المحصلة تضل احتياجات الإنسان واحدة في كل مكان، فمن حاجته للمأكل، والمشرب، والمسكن، والأمان، والتنظيم، وحتى الترفيه وخلافه، وكل ما يؤمن له ذلك من أدوات، ومواد، وأساليب حياة، سيكون مجبراً على تقبله وإدراجه ضمن ثقافته، وأن أي مواجهة قد تنشأ للتصدي للتغير؛ هي مواجهة خاسرة.

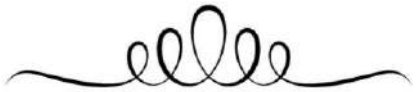

شذرات

(الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون

أنهم يحسنون صنعا) صدق الله العظيم

كلما تأملت هذه الآية شعرت بالخوف

من أن أكون ممن يحسبون

رذاذ عفن

حين تلقي حجراً في بركة ماء راكدة؛ تأكد من أن رذاذ الماء سيتطاير ويتناثر في كل اتجاه، ويستقر البعض منه على وجهك، فإن كانت بركة الماء تلك؛ تحوي ماء آسنا ومتعفناً؛ فإن الرذاذ المتطاير، حتما سيحمل معه شيء من ذلك العفن.

هناك بشر حين توجه إليهم النصح، أو تسدي لهم معروفا، فإن الرد الذي تتلقاه منهم قد يفاجئك، فبدل كلمة الشكر، ستجد رداً يحمل في معناه، بعضاً من العفن الذي يستقر في عمق نفوسهم.

فالمغرور على سبيل المثال، سيعتبر ذلك النصح إهانة في حقه، وتقليلاً من شأنه، أما الدنيء؛ فسيظن فيك الظنون، ويشرع في تفسير فعلك تجاهه بتفسيرات متعددة، أولها سيتساءل عن المصلحة، والمقابل الذي ترجوه من نصحه، وآخرها قد يظن أنك تدبر له مكيدة، أما الأحمق ممن لا دواء له؛

فسيستهزأ بك ويسفه رأيك.

أمثال هؤلاء؛ نصحهم يعتبر بمثابة الجريمة التي ترتكبها في حق نفسك، وحينها ستكون أنت من هو بحاجة للنصح، كي تتجنب مستقبلاً نصح أمثال هؤلاء.

إن من أبواب الحكمة؛ أن نحتفظ باحترامنا أمام الآخرين، وألا نجعل من طبيعتنا الطيبة والمحبة للخير؛ سبباً في تلقينا للمهانة من أمثال هؤلاء البشر.

ففي المحصلة؛ أنت لن تغير من طبيعتهم شيء، لكنك أنت من سيتغير بعد تجارب متعددة من هذا النوع، لتصبح أكثر حرصاً، في انتقاء من يستحقون النصح والإرشاد.

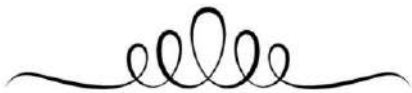

شذرات

حين تكون متخماً

بأفكارك الرجعية

لا تزاحم على موائد المعرفة

لتتقيأ جهلك

فوق جهل الجاهلين

ألا لا يجهلن أحد علينا.. فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أستشهد بهذا البيت من معلّقة عمرو بن كلثوم، والتي تناقلتها ذاكرة السابقين واللاحقين بكثير من الإعجاب، نظراً لمَ تتضمنه من معاني العزة والشرف؛ متناسين أنها قيلت في أعقاب مجزرة راح ضحيتها العشرات من البشر، وسُفكت فيها الكثير من الدماء.

والتاريخ مليء بمثل تلك القصص، التي تسرد لنا حروباً امتدت لسنوات، ولأسباب لا يمكن وصفها إلا بالتافهة، ولا يمكنني تخيل وجود قلوب بشرية تتصف بكل تلك القسوة، والجلافة، والعجز عن إظهار العاطفة؛ حتى تجاه فلذات أكبادهم، ولعلنا نعلم المناسبة التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لا يَرحم لا يُرحم" رداً على الأقرع بن حابس التميمي،

حين قال: "أن له عشرة من الأبناء، لم يقبل أحد منهم قط"

بينما أرى السباع والضواري تلاطف صغارها وتعطف عليهم، وهي دواب لا تملك من العاطفة ما يملكه بنو البشر، ومثل هذا السلوك الذي ينتهجه الأب مع ابناءه؛ كفيل بأن ينقل إليهم عدوى نفس الخلل السلوكي، ويجعلهم متشبعين بدرجة عالية من القسوة والتعصب.

إضافة إلى توريثهم العديد من المعتقدات تجاه فكرة الرجولة وفق مفهوم مغلوط، لا يتجاوز المساحة الممتدة ما بين الأنف والشفة العليا عند الرجل، والتي لابد وأن يكسوها شارب عريض.

ثقافة (المرجلة) تفرض على صاحبها التجهم، والجفوة في التعامل، فلا يكاد يبتسم أو ينطق بكلمة؛ يمكن وصفها باللطيفة، ولا يأنس بحديث، ولا يضحك لدعابة، ولا يطرب لنغم.

هذه الفئة من الناس؛ هي الأكثر قابلية للتأثر بالأفكار المتطرفة، لأنها تنسجم وأفكارهم وشخصيتهم، فلا نتوقع منهم ميلاً نحو تقديم النصح بأسلوب مقبول ولطيف؛ بل هم ميالون فطرياً لمعالجة أي مشكلة تعترضهم بأسلوب يمكن وصفه بالعنيف.

والعنف الذي قد نصادفه أحياناً في الشوارع، والمدارس، والأماكن العامة، وبشكل مفرط؛ قد يفاجئنا، وربما صدمتنا تكون أكبر حين نعلم بتفاهة السبب الذي أدى لنشوء الخلاف أصلا.

وكل ذلك هو نتاج هذه الثقافة، التي لا تتردد في إظهار ردة الفعل المتهورة، ولا تتقبل فكرة التسامح والتنازل لحل أي خلاف.

وإن كانت المدنية لها ما لها وعليها ما عليها، وقد نتفق أو نختلف في ذلك، إلا أنها أحد المؤثرات التي تساهم في تهذيب الخلق، وتجعل من الانسان أكثر قابلية للحوار، وتقبّل الآخر، وتكسبه المرونة، وتجعل منه أكثر ميلاً للإحساس بالجمال من حوله، وتتيح الفرصة للتفاعل والاحتكاك بالثقافات الأخرى، والتي بالتأكيد؛ تؤدي إلى تغيير في الأفكار.

ولا يمكننا اعتبار الجاهلية مرحلة زمنية في عمر التاريخ الإنساني، بقدر ما هي فكر قابل للاستمرار والتجدد، وقادرة على تقديم نفسه بشكل أكثر عصرية.

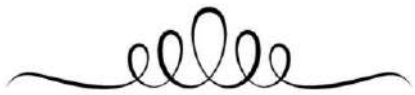

شذرات

متى شعرت

أنك لا تساوي إلا صفراً

في حسابات الحياة

فقف إلى جانب أحدهم

لتجعل منه رقماً أكبر

الخلود

لماذا نكتب؟ ولماذا نغني؟ ولماذا نرسم؟

لماذا نبحث دائماً عن وسيلة لنعبر فيها عن ذاتنا؟ وهل هي وسيلة لتحقيق أهداف وبلوغ الشهرة! أم أنها غاية تحقق لنا الرضا عن النفس؟ أم هي وسيلة نسعى من خلالها للتغلب على شيء ما في أعماقنا..!؟

ابتكر الإنسان لنفسه الوسائل؛ ليعبر عن مشاعر بداخله، وأقوى تلك المشاعر التي تحتاج للتعبير؛ هو شعور الألم، والحزن، والذي يدفع بنا دفعاً نحو الرغبة في التعبير، وربما الإبداع.

دائماً ما يكون الشعور بالألم صادقاً، ونابعاً من العمق، وبالتالي فإن كل تجلياته ستكون بذات المستوى من الصدق، والذي منحنا عبر التاريخ كل ذاك الإبداع من الفنون.

كل المبدعين يخفون في أعماقهم شعوراً بالألم، ناتج عن قصص خاصة مروا بها في مراحل حياتهم، والتي دفعت بهم لرغبة في البوح والتعبير.

لم تكن رغبة متصنعة، وزائفة؛ بل هي حاجة تتوق النفس والروح للبوح بها، كي لا تختنق، تماماً ك (الأكسجين) للجسد.

وهؤلاء هم من قدموا لنا الفنون الخالدة، وليسوا من سعوا إلى الشهرة والمال، لأن تلك رغبات تتخذ من الإبداع والفن؛ غلافاً للرغبات الحقيقة خلفها، وهي تحقيق المكاسب؛ ولذلك لن تدوم طويلا.

زرياب، وماردوخ، والاسماء اللامعة في سماء الشعر؛ خلدتهم ذاكرة التاريخ، وتجاهلت تخليد ذكر معاصريهم من المرفهين.

فالمعاناة في حياة الإنسان؛ هي من تصنع الإنسان الحقيقي؛ القادر على العطاء والإبداع، وإدراك المعاني الواقعية وراء كل شيء.

هم من أخلصوا في العطاء، فنالوا المكانة التي تليق بهم.

الكثير من هؤلاء عاشوا على الهامش، وتجاهلهم الآخرون،

ونظروا إليهم كمجانين، وغريبي الأطوار، وتطاولوا عليهم بالنقد والهجوم، متناسين معاناتهم العميقة، ومتجاهلين شقائهم الأبدي.

كثيرون أولئك الذين ملكوا مفاتيح الثراء، وطمست أسمائهم وطويت صحائفهم، ولم يخلد منهم إلا قارون، ليكون أكبر دليل على النهاية البائسة لطغيان بعض الأثرياء، وأنهم لم يتركوا ورائهم أثراً عليه يحمدوا، أو به يذكروا.

في حين؛ أن هناك على جدران التاريخ، أسماء نقشت وظلت خالدة، باقية ما بقيت السموات والأرض، شكلتهم المعاناة، وصنعهم الألم، و صقلتهم التجارب القاسية، فترجموا كل ذلك بلحن آسر، أو لوحة ناطقة بالإعجاز، أو قصيدة تتحدث بلسان البؤساء، جيلاً بعد جيل.

المقبلون على الحياة؛ قد ينالون الثروة، ولكن أصحاب المعاناة؛ هم من ينالون الخلود.

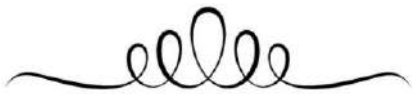

شذرات

خُلقتُ من طين

فما عساها أن تكون أحلامي سوى

حفنة من تراب!

واقعية الافتراضي

لم يعد ذاك العالم افتراضياً كما كنا نظنه في السابق؛ بل هو عالمٌ واقعي، ينبض بالحياة، ويعيش بأنفاس ساكنيه من البشر.

كم هائل من المقالات، والرسائل، التي نشرت بهذا الخصوص، ويمكن لنا أن نقول أنها تتضمن بالمجمل تحذيراً وتخويفاً من الانغماس فيه بشكل كبير.

ولكن، لم أطلع على أي مقال يتناول الجانب الإنساني من هذه القضية، ويشير ولو على استحياء؛ بانه قد يحمل في عمقه كل المشاعر التي قد يختبرها البشر.

ما يسمى بالعالم الافتراضي؛ غدا عالم واقعياً، وفتح الأبواب للتواصل، والتفاعل، وتبادل الخبرات والمصالح، وكذلك المشاعر.

استوقفتني مرّةً قصة الكاتبة مي زيادة، ومراسلاتها مع الكاتب جبران خليل جبران، والتي استمرت بينهم لسنوات، وكل المطلعين يقرون بوجود نوع من الارتباط الوجداني بين تلك الشخصيتين؛ بالرغم من أنهم لم يلتقيا فعلياً ولو لمرةٍ واحدة.

وكان التواصل بينهم يتم عبر الرسائل البريدية، التي تبعث بها هي من محل إقامتها بمصر، في حين كان يقيم هو في الولايات المتحدة.

ولا يمكننا كذلك؛ إغفال مسألة ما تمثله تلك الشخصيتين، وما تمتلكه من وعي واتزان، أي أنها ليست شخصيات يمكن لها أن تنجّر وراء عواطف مزيفة، وتنغمس في الوهم.

وكانت المشاعر بينهما صادقة، وعميقة للحد الذي دفعت بمي للانعزال، وتدهور وضعها الصحي لاحقاً، ومن ثم وفاتها؛ بعد وفاة جبران بسنوات قليلة.

وسيلة الاتصال تلك؛ كانت عبر البريد الذي يستغرق زمناً للوصول إلى صاحبه، ويتطلب زمناً آخر لتلقي الرد على الرسالة، ومع ذلك كانت المشاعر موجودة، ومتأججة بينهما.

بخلاف ما نعايشه اليوم؛ من التواصل المباشر عبر وسيلة إلكترونية، تتيح المجال لإجراء حوار متبادل بين طرفين.

لا يمكننا الإنكار؛ بأن الأرواح جنود مجندة، وأنها متى توافقت؛ كان بينها الإتلاف والانسجام، فالشعور مسالة يمكن إدراكها، ولكن لا يمكن تفسيرها؛ بطرح السؤال.. لماذا؟

كذلك؛ لا يمكننا إنكار سلبيات هذا التواصل، وإمكانية استغلاله من أحد الأطراف؛ للتلاعب بالآخر، وما قد يشكله من وسيلة استغلال سهلة، وقناع جاهز لارتدائه من قبل هواة ارتداء الأقنعة.

ولكن، من يبرع في ارتداء الأقنعة؛ قادر على صنع ذلك الوهم للطرف الآخر؛ سواء كان ذلك بشكل مباشر، أو من وراء شاشة.

من قاموا بتشويه العلاقات الإنسانية السامية بين البشر؛ سواء كانت صداقة، أو أخوة، أو محبة، في الحياة الواقعية، هم أنفسهم من يقومون بتشوية نفس العلاقات عبر العالم الافتراضي اليوم.

ومن لا يمكنه الاعتراف بإمكانية نشوء مثل تلك المشاعر؛ من خلال وسائل تواصل الكترونية، هم في المقابل ربما غير قادرين على الإحساس بتلك المشاعر في عالمهم الواقعي.

فبعض البشر؛ يملكون درجة عالية من الإحساس المرهف، الذي يجعلهم مهيئين بدرجة أكبر من غيرهم، ومتحفزين تجاه العلاقات الإنسانية.

ولكن؛ لابد أن يتم ذلك بدرجة عالية من الوعي، والمسألة وإن أظهرنا جانباً إيجابياً منها؛ فهي ليست كذلك بالمطلق، ويكمن الفرق بين الحالتين؛ في الاختيار الصحيح للأشخاص الذين يمكننا الوثوق بهم.

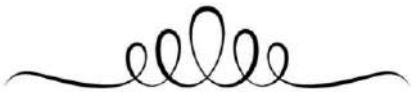

شذرات

من لا يجيد فن طرح الاحتمالات

لن يستوعب النتائج

فوفرة الاحتمالات ناشئة عن اتساع المدارك

أهي ملكة استبصار؟ أم قراءة صحيحة

لأحداث تعيد ذاتها باستمرار!

تفكير ثلاثي الأبعاد

دائماً ما نحتاج لرؤية الاشياء من اتجاهات متعددة؛ لنتمكن من تكوين الصورة الكاملة عن الشيء الذي أمامنا، ولكن هناك من يكتفي بالنظر إلى صورة مسطحة ذات بعد واحد، ويتوهم أنه بذلك قد ألم بكامل التفاصيل.

وكذلك التفكير الذي يؤدي بنا إلى الوصول إلى استنتاجات؛ يتطلب منا أن نفكر بأسلوب مختلف، وأكثر تعمقاً ومنطقية، وأن نعيد التفكير في المسألة لعدة مرات، ونطرح العديد من النظريات حول القضية، لنكون أقرب إلى الحقيقة، في أي استنتاج قد نخرج به.

بعد ذلك التفكير؛ قد تكون بعض مواقف الآخرين التي قد سببت لنا الازعاج، لها مبرراتها التي نجهلها، وقد تكون كثير من القضايا التي نحمل تجاهها وجهات نظر محددة،

مختلفة تماماً جملة تفصيلاً عن الاستنتاجات التي نملكها.

لا يمكننا بناء رأي سليم تجاه مسألة معقدة نسبياً؛ بمجرّد الاطلاع عليها، والمرور بها مرور الكرام.

كثيراً ما نكون بحاجة للبحث، والتمحيص، والتفكير، والنظر للمسألة من عدة جوانب، لنكوّن تجاهها رأي قريب من الحقيقة.

العقل يدرك العالم من خلال الحواس التي نملكها، وحاسة النظر هي إحدى الحواس التي تمنحنا الإدراك، وكلما كانت الصورة أشمل؛ كلما تمكن العقل من الإدراك أكثر للحقيقة.

الصورة المسطحة لن تؤدي بنا إلا للخروج برأي سطحي، والصورة ثلاثية الأبعاد تمنحنا الشمولية والعمق في الإدراك.

لنفكر بمنطق ثلاثي، ولكن.. لنصل لرأي نهائي؛ يسير بنا باتجاه واحد؛ نحو الصواب.

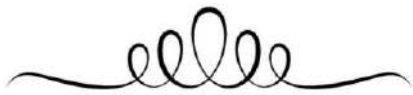

شذرات

الظلام ساتر جميل

تتلاشى معه كل مسببات النفور

باعث على السكون

وملهم لخيال الغارقين في تفاصيل الواقع

الباحثين عن النجاة

على ظهر قشة حلم

مصطلح الإنسانية

كل تجمع بشري؛ يعمل على خلق وترسيخ قيم يراها من وجهة نظره أنها الأمثل، والأنسب لأسلوب الحياة.

وبالرغم من وجود العديد من الثقافات التي تعيش على الأرض، ورغم كل هذا التنوع الكبير في الثقافات؛ إلا أن هناك قيماً مشتركة بينها، بقدر ذلك التنوع، والتميز الذي يخلق ذلك التفرّد.

التاريخ زاخر بقصص الإمبراطوريات والحضارات، وكل حضارة كانت لها معايير وقيم ومبادئ تحكمها، وتنادي بها؛ بهدف الارتقاء والسمو بالجنس البشري، إلا أن العديد منها لها وجه مظلم آخر؛ لا يمت إلى الإنسانية، أو الأخلاق، والسمو بصلة.

ولا ننسى أنها نشأت في الأساس على سفك الدماء، والسلب والنهب؛ لإقامة تلك الإمبراطوريات، وازدراء الآخر باعتباره أقل شئناً من أسياده الذين يحكمونه، ودائماً ما كانت الطبقية في المجتمعات أمراً شائعاً؛ بل ومرحباً به في بعض الأحيان، سواءً من منظور عرقي عنصري، أو مهني، أو حتى من منظور جنسي؛ يجعل من المرأة في درجة أقل تكريماً من الرجل، ولا يرى بأساً بتحويل العبيد وأسرى الحروب إلى وسيلة ترفيه وحشية، يتم التلذذ من خلالها بمنظر الدماء، وموتهم البطيء في حلبات المصارعة عند الرومان.

ربما نعيش اليوم في عصر أقل وحشية من ذلك، ولكن ليس بالضرورة أننا نعيش فيه بشكل أكثر احتراماً للقيم، وربما نعيش في عصر أكثر وعياً بحرية الفرد؛ ولكنه يتجاهل بشكل فج الأخلاق والفطرة السليمة، ويحمي السلوك الشاذ والمنحرف، ويسمح لأي فكر متطرف بمساحة حرية مبالغ فيها.

إذاً.. لا يمكن لنا اعتماد ما يصطفيه الإنسان لنفسه كقيمة ومبدأ أخلاقي؛ على أنه الأسلوب الأمثل للحياة، ولابد من وجود تشريع إلاهي يعمل كدستور ومرجع لغربلة تلك القيم،

والإبقاء على ما هو سليم، واستبعاد ما هو شاذ عن الفطرة.

ولابد أن نأخذ في الاعتبار، أن البشرية هي امتداد لسلالة إنسان واحد هو (آدم) عليه السلام، والذي كان موحداً بلله، وهبط من الجنة وهو يحمل التشريع الإلاهي الذي حدد المعايير السليمة التي تتناسب وفطرة الله التي فطر الناس عليها، وكل القيم المشتركة بين الثقافات من (صدق، ومحبة، وعطاء، وأمانة، وحرية معتقد، وعبادة) هي امتداد لذلك التشريع الإلاهي، وليست قيم ابتكرها الإنسان، وقام بتمجيدها من تلقاء نفسه.

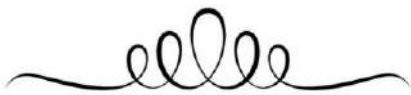

شذرات

تِلكَ صرخةٌ لم تألف رِفقةَ الصدى

شاذةٌ في محيطٍ من الصمت

حرةٌ تجتازُ حدودَ اليأسِ في حُنجرتي

حُجة البليد..!

حجة مسح السبورة ليست ممارسة تقتصر على البلداء من طلاب المدارس فقط؛ إنما هي ممارسة قد يتقنها الكثيرون كباراً وصغاراً.

وربما هي عادة تأصلت في البعض منذ مراحل الدراسة الأولية؛ لتستمر معهم وتأخذ أطوار أخرى أكثر بلادة مع التقدم في العمر.

بحيث يتشبع بها كلأسفنجة التي تمتص الماء، إلى الحد الذي يفقد معه الإحساس بتاتاً؛ ويتحول لكائن عديم الشعور والفائدة، وغير قادر على إبداء أي فعل أو ردة فعل في أي موقف يستدعي ذلك.

وهذا تنطبق عليه الصفة التي نتداولها بالعامية (كافي خيره شره)

أما الصنف الآخر؛ فهو البليد الذي يعلم من نفسه البلادة، ولكن لا يرضى بأن يتحول إلى مجرّد ماسح للسبورة فقط؛ بل يحاول أن ينفي عن نفسه تلك الصفة من خلال كثرة طرح الآراء والأفكار، علّها تقنع المحيطين به؛ بأنه على درجة عالية من الوعي والإدراك، وتتطور الحالة مع الوقت؛ ليغدو شخصية ناقدة؛ تبرع في التنظير على الآخرين، وانتقاد أفعالهم، ومواقفهم، وحتى أفكارهم، مع استحضار قوي للمشاعر والانتماءات.

دائماً ما يلومون الآخرين على ضيق الأفق؛ وقلة الإنجاز، ويكيلون لهم التهم من باب (الهجوم خير وسيلة للدفاع) ولكن سؤال واحد حين تطرحه عليهم؛ كفيل بإخراسهم (وماهي إنجازاتك أنت؟)

كلنا قادرون على ترك أثر أو تحقيق إنجاز ما، من موقع مسئوليتنا، وحتى بتفردنا، وذلك متى كانت لدينا عقيدة العطاء والإنجاز، ولدينا الحس الفطري والصادق بالانتماء والمسؤولية.

أما التظاهر بمسح السبورة؛ فهي وسيلة يتقنها البعض للتهرب من المسئولية الفردية تجاه الآخرين، والقيام بتلطيخها

ببضع خربشات لا جدوى منها؛ هي محاولة أخرى للتخفي خلف ستار الانشغال، والتظاهر بكتابة دستور للمدينة الفاضلة، ولسان حالهم يقول: بينما أنشغل أنا بخربشاتي؛ عليكم أنتم انجاز المستحيل.

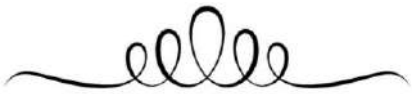

شذرات

الظل الأسود خطيئة الضوء

العاجز عن اختراق المادة

البيضة أولاً أم الدجاجة..!؟

سؤال جدلي أزلي، لا توجد له إجابة مقنعة، وكعادتي فأنا لا أميل لطرح الأسئلة أو إشغال فكري في المسائل التي لا طائل من معرفة الإجابة عليها، فما الفائدة التي قد أجنيها من معرفة من منهم كان أولاً، وأي منهم جاء كنتيجة حتمية لوجود الآخر الذي يسبقه، أ هي الدجاجة، أم البيضة؟ وهل البذرة أولاً، أم الشجرة!

ما يعنيني أكثر؛ هي أن تكون أعداد الدجاج والمحاصيل الزراعية كافية؛ لإطعام الجياع والمحرومين في هذا العالم، جرّاء أنانية وجشع البعض.

والتساؤل الذي تهمني الإجابة عليه كذلك هو؛ هل الثقافة أولاً، أم الوعي؟

فعادة ما تجتمع هذه الخصلتين في شخصية واحدة، ودون أن ندرك حقيقة أي منهما كان نتيجة للآخر!

فهل الثقافة تؤدي بصاحبها إلى اكتساب الوعي، أم أن الوعي الفطري لدى البعض يدفع بهم نحو المزيد من البحث؛ وبالتالي اكتساب الثقافة؟

قد يظن القارئ؛ أنني أطرح سؤالاً جدلياً آخر لا يقل في سخفه عن السؤال الذي يسبقه، ولكن حين ندرك حجم التأثير الإيجابي للشخصية الواعية على حياة البشر، والتأثير الكارثي الذي قد يُلحقه مدعي الوعي بحياتهم؛ هنا يكون البحث عن إجابة مسألة في غاية الأهمية.

السمات الفردية التي تميزنا عن بعضنا؛ عادة ما تكون ظاهرة منذ سن مبكرة لدى كل منا، وملحوظة لدى العارفين، فنجد طفلاً لدية نزعة تجاه أي نشاط حركي، ويشعر بالسعادة أثناء حصة الرياضة البدنية في المدرسة، بينما آخر يجد سعادته في ممارسة الرسم والنحت، في حصة المادة الفنية، والثالث لا يهتم سوى بتحصيله العلمي، أما الرابع فهو الذي لا يجد لديه ميول نحو أي شيء سوى التنمر؛ وتحطيم طموحات الآخرين.

الموهبة والميول؛ تُخلَق فينا منذ ولادتنا، ولكن بدرجات متفاوتة، فنجد كل واحد منا منذ طفولته؛ لديه توجه واضح نحو نشاط دون الآخر، وهذا ما يصنع منا في المستقبل الفنان الموسيقي، والرسام، والعالم، والفقيه، والمهندس.. إلخ.

العالم لم يعد بحاجة؛ لمزيد من الفن الهابط، ولا المزيد من الاختراعات الميكانيكية؛ والتي تُعد البطالة أحد نتائجها، ولا مزيداً من البرامج الإلكترونية؛ التي جعلتنا منعزلين متوحدين مع ذاتنا، ولا إلى مزيد من المنظّرين الاقتصاديين؛ الذين يفرضون علينا نظرياتهم، ويتنبؤون لنا بالكوارث الاقتصادية عندما تصبح على الأبواب؛ دون أن تكون لديهم حلول للمشاكل التي خلقوها بأنفسهم.

نحن بحاجة؛ لمزيد من المفكرّين الذين يشكلون الوعي الإنساني؛ ويعيدون الاتزان للبشرية.

وهؤلاء هم المثقفون أصحاب الوعي، والمحكومين بالقيم، الذين أدركوا بوعيهم الفطري منذ الطفولة؛ أن التطور يتطلب المزيد من المعرفة والثقافة؛ فدفعهم ميولهم للبحث، واكتساب الثقافة التي حتماً شكلت قيمهم، وهذبت نفوسهم.

وبذلك فإن محاولة المجتمعات خلق أجيال مثقفة؛ يُعتَمد عليها لبناء مجد الوطن، لن يكون عبر أساليب التعليم التي تنتهج منهج التلقين، ولكن عن طريق اكتشاف هذه العقول منذ البداية، ومنحها المساحة للإبداع الفكري، الذي يجد الحلول، ويعيد الجمال للفن، والترابط للأسرة وللعلاقات الإنسانية، ويضع حداً للجشع المادي، ليجد كل جائع في النهاية؛ دجاجة ليأكلها.

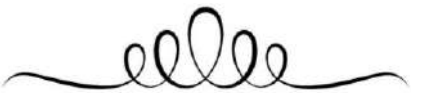

تذكر

تصالح مع نفسك ومع محيطك

فالعالم لن ينتظرك ريثما تقوم بتغيير قناعاتك

كزهرة الهندباء

ربما نكون نحن البشر؛ الكائنات الوحيدة التي تفكر وتخطط للمستقبل.

إننا نضّيق كل هذا الأفق الواسع للحياة على أنفسنا، ونتحول إلى أسرى مهووسين بقيود من الأمنيات التي نسعى لتحقيقها، ونستهلك كل تلك السنوات في التخطيط والتنفيذ.

وكم من خطط فشلت؛ لسبب منطقي أو غير منطقي، وكم من خطط فشلت؛ بسبب تغيرات الظروف، وكم منها نتحمل نحن أنفسنا مسؤولية الفشل فيها.

حقيقة نرددها زاعمين أننا نؤمن بها، بأن كل إنسان مسيّر لما خلق له، وأن الله سبحانه قد أوجد كل شخص منا متفرداً ومتميزاً عن الآخرين، وأن لكل منا رسالة محددة

في هذه الحياة، ولابد من أن يدركها في وقت ما، في مسيرة العمر المهرول نحو نهايته.

بينما في واقع الأمر؛ نخالف تلك القناعة، ونثقل أدمغتنا التي نملكها بالتفكير، والتخطيط، والبحث عن السبل لتحقيق الأهداف.

قد يتطلب الأمر سنوات؛ حتى ندرك حقيقة تلك الرسالة، وقد ندركها باكراً أو متأخرين، وقد ينقضي العمر ولم يدرك البعض منا رسالته في حياة قضاها سابحاً على السطح، دون رغبة في الغوص في الأعماق.

زهرة الهندباء؛ تنثر بذورها الطيارة في الهواء، سابحة، محلقة، سياحة دون أن تكون لها وجهة محددة، ولكن أقدار الله تسوقها إلى حيث يجب أن تكون؛ ولتحط في مساحة فارغة، وتبدأ في مد جذورها في الأرض؛ لتنمو وتزهر، وتملأ ذاك الفراغ بجمال من صنع الخالق.

حينها فقط تدرك تلك البذرة ماهي رسالتها على الأرض، وأين يجب أن تكون ودون تخطيط مسبق.

في مسيرة الحياة؛ مررت بمحطات كثيرة، ومنعطفات عدّة، حولت مسار حياتي، ومنها منعطفان حققت فيهما أكبر إنجازاتي، والمفارقة أنها الوحيدة التي تحققت ودون أي تخطيط مسبق، بينما كان الفشل مصير كل أهدافي مسبقة التخطيط!

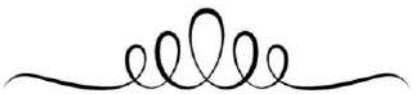

شذرات

اتفاق قطيع من الحمير

على أن أحد أفراده فائق الذكاء

لا يعني بالضرورة بأنه كذلك

خارج مجتمع الحمير

خذ اللقطة

قصص العشق سابقاً كانت سراً بين اثنين، وبعض من المقربين ممن يسمح لهم بالعمل كسعاة بريد للرسائل المتبادلة بين الطرفين؛ خوفاً من افتضاح أمرهم، أو لتجنب عين حسود، أو مكيدة عذول.

وكانت تلك السرية؛ تضفي على هذه العلاقة السامية رداءً من القداسة والبهاء.

أما قصص العشق اليوم؛ فهي للتداول العام، وخبر على وسائل التواصل الاجتماعي، ومثار لجدال البعض، أو سخرية آخرين، وساحة للحوار وإبداء الرأي لأي كان، ومادة دسمة للفضائح، وفرصة لكل حسود، وملعب مفتوح أمام كل عذول.

وكل فصولها مسرحيات لجذب انتباه الجمهور إلى أبطالها، وتفاصيل حياتهم المبهرجة، وبعض الصور التي تلتقط لهم

وهم ينطقون بكلمة (cheese) لترتسم ابتسامة متصنعة على الشفاه (كبرستيج) اجتماعي، واستعراض لهدايا لا طائل منها؛ سوى أنها تأجج حسرة في قلب كل محروم من تلك النعم.

قصة قصيرة؛ لا تصمد حبكتها الدرامية، وتنهار أمام أتفه موقف، ليزاح الستار عن كل ذلك الزيف الذي كان يقبع في الخفاء.

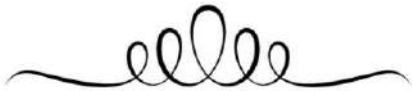

شذرات

الجهل

ليس نتيجة لقلة المعرفة

بل لافتقاد آلية

التفكير

قلم حبر سائل

لطالما استهوتني المرحلة الكلاسيكية من التاريخ، وكل المنتجات التي تنتمي لتلك المرحلة: من أجهزة الراديو، وأجهزة تشغيل الأسطوانات (غرامافون) وأقلام الحبر التي يتم إعادة تعبئتها، وربما الأمانة في صناعة هذه المنتجات؛ لتدوم عمراً أطول، أو الحب الذي منحتها إياه أنامل الحرفي لها، والتي تمثلت في الاهتمام بزخرفة أدق التفاصيل فيها؛ يجعلني مغرماً بها، أو ربما هي أسباب أخرى.

وكانت فكرة اقتناء قلم حبر؛ مسألة تراودني لفترة طويلة، حتى قررت شراء إحداها، وعاهدت نفسي بألا أستخدم سوى قلم الحبر بعد الآن، بالرغم من أن موضة هذه الأقلام قد بطلت منذ زمن، والناس فضلت استخدام قلم الحبر الجاف بدلاً عنها، ولهم في ذلك مبرراتهم.

فالحياة العصرية؛ ذات طبيعة تميل نحو استخدام كل ما هو عملي، ويوفر الوقت والجهد، ويساعد على الإنجاز بشكل (أفضل) وربما يمكننا صياغة العبارة السابقة بشكل مختلف قليلاً؛ لنصف الحياة العصرية؛ بحياة ذات نزعة استهلاكية، تهرول خلف التغيير والاستبدال باستمرار، بدواعي كسر الروتين والجمود، لمنح الحياة مذاق مختلف بين الحين والآخر.

فخلقت لنا جيل استهلاكي حتى النخاع، ومهووس باقتناء كل ما هو جديد، وإن لم تكن هناك حاجة فعلية إليه، حتى تسربت هذه الطبيعة إلى جينات البشر، وجعلت مبدأ الاستهلاك أسلوب حياة حتى على مستوى العلاقات الانسانية.

فعلاقاتنا بالآخرين تحولت إلى روابط سطحية، قابلة للتلاشي تحت تأثير أي محفز مهما صغر حجمه، وفكرة التعلق بالآخرين تحولت إلى خطيئة في نظر الكثيرين، وفضيلة جبر الخواطر تمت شيطنتها.

باختصار هي علاقات تشبه علاقتنا بقلم الحبر الجاف، الذي نستهلكه حد الاستنزاف، ثم نلقي به في سلة المهملات، لأن وظيفته انتهت بكل بساطة.

قلم الحبر السائل؛ يرمز للاستمرارية والدوام، وعلاقة مالكة تستمر معه لسنوات، وربما لعقود، وتتحول لعلاقة حميمية حين نتأمل في المكان الذي يسكن فيه بجوار القلب لسنوات، ويرافقنا في كتابة كل ذكرياتنا من أفراح، وأحزان، وأرباح، وخسائر، وكلما نضب مداده؛ حرصنا على إعادة تعبئته بالحبر، وربما بالحب من جديد؛ ليستمر بالتدفق.

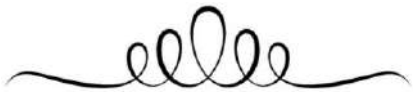

شذرات

المتعلم

كلمة في المعجم تدل على صفة

وفي الواقع

إلى أسم منتج

مضمون بشهادة تخرج

عيب عليك

(عيب عليك) كلمة كانت كافية، لوقف أحدهم عن التمادي في غيه، أو تجاوز الخطوط الحمراء، إنها كلمة أشبه ما كانت بالصفعة التي تهوي على خده؛ لتعيده إلى رشده في لحظة انفعال.

فالحدود التي رسمها المجتمع لأفراده سابقاً؛ كان تحظى بقدسية من نوع خاص، وذلك بسبب الخوف من أن يغدو أحدهم منبوذاً اجتماعياً، فيخسر بذلك احترام وتقدير الجماعة التي يعيش بينها، ما يعني ضمناً أنه سيفقد الدعم الذي كان يحصل عليه منهم في النائبات التي قد يتعرض لها أي فرد.

لقد كان العيب رادعاً قوياً لأي فرد يعيش في جماعة، وبذلك يُلزم بأن يعيش وبتصرف وفق تلك المعايير.

وحين كثر المنظرون و(التقدميون) الذين أشغلوا أنفسهم والناس بآرائهم، وأفكارهم التي انتقدت كل عرف وكل مبدأ؛ بدواعي وأعذار، فتحوا الباب على مصراعيه؛ ليلج من خلاله كل من تهوى نفسه التمرد، وتحولت صفة الحياء والخجل إلى أحد مظاهر المرض النفسي، وتحول كل من يتجرأ على القيم إلى شخص يمثل التفرّد، ويتفاخر باختلافه.

رسائل استوعبها البعض بشكل خاطئ، وطبقوها بأسلوب فج، وضربوا بكل القيم عرض الحائط، وتحولوا إلى شواذ يقفزون قفزات عالية فوق القواعد، كمن ينافس في بطولة القفز الطويل. حجتهم أنهم متميزون، ولسان حالهم ينطق بـ (لا يهمني رأي الآخرين)

لقد كان كلام الناس ذا قيمة؛ حين كان المجتمع يعي معنى الجماعة، ويكبح الانفلات، ويحمي حقوق الجميع في أن يعيش في وسط متناغم، دون أن تؤذيه تصرفات أفراد يستوعبون معنى الحرية بشكل منحرف؛ يتسق ونزعتهم نحو الانفلات، ويسعون ليكونوا مختلفين بكسر القاعدة؛ وإن كانت سليمة.

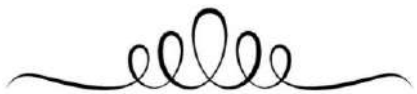

شذرات

ابحث عن شريك

يمكنك الحديث معه بساطة

دون الحاجة للتمهيد وترتيب الكلام

شريك يمكنه تفّهمك

حين يخونك التعبير

حمل خارج الرحم

مصطلح طبي تكفي الإشارة إلية، فالعبارة تشرح نفسها دون الحاجة إلى مزيد من التوضيح.

فالله سبحانه وتعالى؛ خلق الرحم لاحتضان الجنين، وهيأ له الظروف المناسبة للنمو، وحين تستقر العلقة في مكانها الغير مخصص لها؛ فمصير ذلك الحمل هو الفشل دون أدنى شك.

جميعنا يحمل في داخله حلم وطموح محدد، وكل أحلامنا وطموحاتنا بحاجة إلى بيئة مناسبة؛ لتتمكن من الوصول للمرحلة النهائية؛ التي نكون فيها قادرين على بلوغ الهدف.

هناك أحلام تزرع في بيئة غير مناسبة، وربما تكون في بعض الأحيان أكبر من أن يحتويها واقع الفرد منا، وذلك لاعتبارات كثيرة تختلف من شخص لآخر، وفق ظروفه.

وأي حلم يتجاوز الواقع، أو بوصف أدق يتجاهل هذا الواقع؛ هو في حقيقته وهم، تجاوز صاحبه الإشارات التي تحيط به.

وربما هو نوع من الغرور؛ الذي يدفع بصاحبه لينسج خيالات غير صحيحة عن الذات، وبأنه يمتلك من القدرات ما يفوق حقيقته.

لنترك جانباً كل تلك الشعارات التي تدفع بالبعض منا نحو المغامرة، وتدعوه لمواصلة المحاولة للنجاح؛ في مسألة قد تكون محسومة، وفي حين أن الحقيقة تشير إلى أن المزيد من المحاولة؛ لن يمنحنا نتائج مختلفة، وكأن الواقع بيد الإنسان وبمقدوره أن يغيره!

تلك الصعوبات قد تمثل تحديات تتطلب العمل لتجاوزها، ولكن تضل هناك مستحيلات، وإلا لمَ سميت أفعال الأنبياء بالمعجزات!

قد يكون ذلك الحلم وهم على المستوى الفردي، أو على نطاق جماعة، أو حتى على مستوى مؤسسي، فكل ذلك لا يهم، فما ينطبق على الفرد؛ ينطبق على الجماعة، والتي هي عبارة عن تجمّع من عدة أفراد على أي حال، أو مؤسسة

يديرها أفراد في النهاية.

حين يفكر الإنسان بالطيران، عليه بداية أن يدرس قوانين الفيزياء، ومن ثم يعمل وفق تلك القوانين، وبعدها عليه أن ينتظر الأجواء الملائمة للتحليق، فلا يمكنه الإقدام على التجربة في جو عاصف.

وهنا يكمن الفرق؛ بين ما هو ممكن، وما هو مستحيل.

وحين تخرج في رحلة صيد، وتشاهد ما يخيل إليك بأنه ظل أرنب يقف متوارياً خلف الظلال، ومن ثم تصوب بندقيتك نحوه وتصيبه في مقتل، فتلك إصابة موفقة نحو الهدف، ولكن حين تقترب من ضحيتك؛ لتجدها أنها لم تكن سوى كومة من الأغصان، فحينها لا يمكنك القول بأنك قد اصطدت الأرنب، ففي هذه الحالة؛ أأكد لك بأنك ستبيت ليلتك تلك دون عشاء.

في كثير من الحالات؛ قد تحسن إصابة الهدف، ولكنك لا تحقق أي شيء، وقد يكون الحلم حقيقة، ولكنه مزروع خارج نطاق الرحم الملائم.

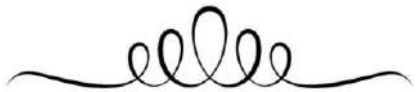

شذرات

اجعل الحب

أول إحساس تشعر به تجاه امرأة

وآخر إحساس

تبوح به لها

إن فلح الولد

(إن فلح الولد جاب داهية لأهله) هذه العبارة كثيراً ما كانت تتكرر على لسان والدي رحمه الله، وذلك متى ما أقدمت أنا أو أحد أخوتي على فعل نجم عنه نتائج سيئة.

ربما هي مضحكة، وربما مؤلمة بنفس القدر، ولكن المعنى يضل واضحاً للسامع.

فبعض التصرفات الخاطئة التي نقع فيها صغاراً؛ تكون بمثابة الكارثة على أحد الوالدين، وخيبة أمل لهما.

ولكن ماذا عنا حين نكبر، هل لا نزال نقترف الأخطاء!؟ والإجابة دون تردد.. طبعاً.

ولكن السؤال الأهم هنا.. من سيدفع الثمن، أو يتحمل نتيجة أخطاءنا؟

حين يكون الفرد منا رب أسرة، ومسئول بشكل كامل عن حياتها ومستقبلها، فبلا أدنى شك هم الضحايا المحتملين لنتائج هذه الأخطاء.

وحين يكون الفرد منا في موقع مسئولية؛ فحينها ستكون دائرة المتضررين أوسع.

لم أطرح هذه المقدمة للحديث عن الأخطاء بشكل محدد، ولكن هناك من يظن أن الخطأ عادة ما يكون نتيجة لتصرفات طائشة، ومتهورة، أو مندفعة، وربما بسبب قرارات لحظية.

ولكني أجزم بأن الكثير من الأخطاء؛ تقع مع سبق الإصرار وسبق التفكّر؛ بل وبعد الإمعان في التفكير، والإصرار على ارتكاب الخطأ.

سبق أن قرأت عبارة للفيلسوفة الإغريقية هيباتيا تقول فيها: "حافظ على حقك في التفكير، فحتى التفكير الخاطئ أفضل من ألا تفكر على الإطلاق".

بينما أرى؛ أن عدم التفكير هو الحل الأفضل لمن لا يملكون الحكمة، والوعي الكافي، حتى لا تتسبب أفكارهم بكوارث.

فالتفكير بحد ذاته؛ ليس سِمة بشرية حميدة على الدوام، فبعض الأفكار والآراء هي خطيئة بالفعل.

فالإنسان المريض الذي يعاني من الجنون، قادر على التفكير، والتوصل لفهم وتقليد الطريقة الصحيحة لإشعال النار بعود ثقاب، لكنه غير قادر على إدراك نتائج إشعالها.

إذاً.. فالجميع يفكر، والجميع قادر على تحفيز الدماغ نحو هدف، ولكن الحكمة والضمير؛ هما ما تُلزمان كل كائن بشري منحه الله عقلاً، أن يفكر ويبتكر بعيداً عن أن "يجيب داهية لأهله.. ولغير أهله"

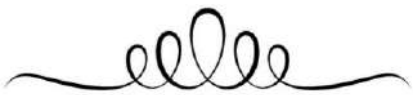

شذرات

دُس على حبات السكر تحت قدمك

وحولها إلى مسحوق

سيضل يتذكرها الناس على أنها كانت حبات سكر

وسيضل يتذكرك الناس

على أنك كنت الحذاء

حقائق موضوعية

الحقائق، والحقيقة، والحق، قد نظن أن جميع تلك المفردات لها دلالة واحدة تشير إلى الحق، بينما أن كل مفردة منها تتميز عن الأخرى في المعنى التفصيلي للكلمة.

دائماً ما تبدأ القناعة الفردية لدينا بفكرة، ثم تتحول إلى أطروحة نبحث لها عن أدلة وإثبات؛ من خلال جمع جملة من الحقائق التي تعزز الفكرة التي نحن نعتقد بها، ما يعني أن حزمة من الحقائق المتجانسة؛ تشكل لدينا حقيقة قابلة للتصديق، ولكن تظل تلك الحقيقة مجرّد (حقيقة موضوعية) مالم نتبع الأسلوب الصحيح في تفكيك الحقائق، وبعدها يمكننا اعتبار الحقيقة أو النتيجة التي توصلنا إليها؛ هي الحق الغير قابل للشك.

يميل الكثير منا إلى اختزال الحقائق، وتقبلها كما هي دون تحمل عناء التمعن في موضوعية الحقيقة، فنحن قد نشعر بالتعب

والإنهاك البدني؛ حين نحمل شيء ثقيل، ونصعد به لعدة طوابق، أو نحمله لمسافة طويلة، وذلك أمر طبيعي لأننا نبذل جهداً جسدياً كبيراً للقيام بذلك، ونكون في غاية السعادة والرضا إن تمكنا من إيجاد بديل أو حل، أو حتى التملص من تلك المسؤولية للحفاظ على طاقتنا.

بينما هناك من يحاول التملص من مسؤولية التفكير، وذلك بالقبول بأي حقائق تعرض عليه، على اعتبارها حقائق موضوعية ومقنعة، وذلك ما قد تبدو عليه في البداية، وما تلبث أن تنهار وتتضعضع، بمجرّد تناولها بشكل موضوعي ومنطقي.

العقل الناقد؛ عقل يتميز بالنشاط، متمرد، ومزعج في كثير من الأحيان، وإلى حد بعيد، وذلك التمرد وتلك الضوضاء التي يثيرها غير مقبولة لدى شريحة من الناس، بينما العقل الخامل عقل لا يجرؤ على التفكير، وخاضع لصاحب الجسد الذي يفضل الركون إلى الحقائق السطحية؛ بل وتحويلها لقناعات فردية غير قابلة للنقاش مجدداً، وكأنه يقول للأخر: "عليك أنت أن تفكر، وأنا سأنتظر أن تبلغني بكل استنتاجاتك، وسأتبناها دون نقاش!"

فالحقائق قد تتغير، وتشير لدلالات مختلفة بفهم السياق، أو الظروف التي نشأت بها، وقد تكون مجرّد أقاويل، أو أكاذيب تتطلب التثبت منها قبل اعتمادها كمسلمات.

كثيراً ما تكون الفكرة الأولية التي تنشأ في عقلنا هي قناعة نبحث لها عن إثباتات، ونتجاهل ونتغافل في المقابل عن الإثباتات التي تتصادم مع الفكرة، ونعتبرها حقائق زائفة أو غير ذات بال، أو لا ترقى لمستوى الحقائق، وعلى العكس من ذلك فنحن من يسعى حينها للبحث داخلها عن نقاط ضعفها لنبرر لأنفسنا رفضها؛ لمجرّد أننا نمتلك قناعة مسبقة نبحث لها عن إثباتات.

الموضوعية تتطلب أن نحلل، ونفكك الحقائق، وأن ننقد، ونقارن، ونقيس، وأن نسمح لذلك العقل بأن يمارس مشاغباته علينا دون قمعه، ومطالبته بالقبول حين يكون عاجزاً عن تقبل فكرة أو قناعة مسبقة، ونحوله إلى عقل خامل، يناقض طبيعته التي خُلق بها.

شذرات

أن تعود

لتبدأ من نقطة الصفر

أفضل من أن تستمر بالسير

في طريق لن يصل بك

إلا

إلى الصفر

الشك المؤدي إلى؟

منذ أن فكرت في كتابة المقال؛ وقعت في حيرة كبيرة لاختيار عنوان مناسب، فرغم وضوح الفكرة التي أنوي الكتابة عنها؛ إلا أنني كنت أدرك مدى تعقيدها، وبالتالي فاختيار عنوان يعبر عن الفكرة بشكل بسيط؛ كان مسألة معقدة بحجم تعقيد الفكرة ذاتها.

كما أنني عادة لا أميل كثيراً لكتابة مقال مطول، قد يؤدي بالقاري إلى التشويش أو الملل، بعد أن أكون قد أتخمت مقالي بالحشو الغير ضروري، وأميل للاختصار والتكثيف قدر المستطاع، إلا أن هناك بعض الأمور التي لا يمكننا تجاوزها، أو الحديث عنها بشكل مختصر، قد يؤدي إلى تفريغ الموضوع من المضمون، وذلك بسبب كثرة التشعبات المترابطة، والتي تؤدي كلاً منها إلى الأخرى كنتيجة أو كسبب.

إننا نعيش اليوم في عالم محكوم بتجاذبات وطافح بالمعرفة، في حين أن هناك من يفتقر للغربال الفكري القادر على غربلة كل تلك المعرفة، التي تصل إليه حتى دون أن يبحث عنها، وبالتالي فقدان القدرة على تصنيف تلك المعرفة، كمعرفة مفيدة أو ضارة، أو هي محض افتراء، أو حتى غير ذات أهمية لحياة الإنسان.

فنحن بتنا في خضم أيدولوجيات تسعى لاستقطاب مناصرين لها، ظاهرها الصلاح وباطنها الفساد، تبرع في التبرج وإظهار جانب لا يمكن له أن يعبر عن حقيقتها العميقة، كوجه قبيح يجيد التبرج بمساحيق التجميل التي تلفت الانتباه لنتأمل ملامحه الفاتنة، في حين لا يمكننا النظر إليه بمجرّد أن يُغسل بالماء أو يتعرى.

ولذلك لابد وأن نتمكن من تعرية كل ما يقدم نفسه لنا كحقيقة، لندرك مدى صدقه، وواقعيته، أو زيفه.

مبدأ أن الشك هو الطريق الذي يؤدي بنا إلى اليقين؛ ليس مبدأ إيجابياً بالمطلق، فبالرغم من أنني أميل إلى طرح التساؤلات باستمرار، والبحث لها عن إجابات؛ إلا أنني أدرك تماماً

بأن اليقين كذلك ليس الصواب على الدوام، فحتى ما نتيقن من صحته قد يكون يقيناً فاسداً في ذاته، مفسداً لغيره، وقد يكون يقيناً صالحاً في ذاته، مصلحاً لغيره.

بين فترة وأخرى؛ تثور ضجة إعلامية كبيرة حول أحد الشخصيات التي عرفت بفكر مخالف، أو فكر إلحادي، وكرّست حياتها (القصيرة) للدفاع عن فكرها؛ بل ونشره والترويج له، وعادة ما تحصل تلك الضجة بالتزامن مع وفاته، كالضجة التي رافقت وفاة أحد هؤلاء مؤخراً، والجدال الذي اشتعل بين من يمجدون إرثه الفكري، وبين من يلعنونه، وبين المدافعين عن مبدأ التشكيك بالمطلق، وبين من يميلون نحو التمسك بالثوابت بشكل متشدد، وتحولت المسألة إلى حرب كلامية بلغت حد (شرشحة) كل طرف للآخر.

وأعود هنا إلى حوار تلفزيوني قديم تم تسجيله في ٢٠٠٢، للمفكر الإسلامي الدكتور عبدالوهاب المسيري رحمه الله، في برنامج بعنوان (حديث الذاكرة) تحدث فيه عن مرحلة من حياته، وتفاجأت بحقيقة كنت أجهلها عنه سابقاً؛ وهي اعتناقه للفكر الماركسي في بداية حياته، ما يعني بأنه كان يعتنق الفكر الإلحادي في المرحلة الجامعية، حين أعجب بفتاة

وشغلت فكره ومشاعره، دون أن يتمكن من حسم مسألة الارتباط بها من عدمه، فلجأ إلى أصدقاءه من الماركسيين للمشورة، ليتحول النقاش إلى نقاش أيديولوجي، نظراً لانتماء الفتاة محل النقاش إلى الطبقة البرجوازية حسب تصنيفاتهم، وهي العدو الأول للفكر الماركسي المناهض للبرجوازية، والمنحاز إلى الطبقة العاملة الكادحة، مما استدعى لجوء المسيري لوالدته لأخذ المشورة، فردت عليه والدته بسؤال: "هل قلبك يشعر بالبهجة حين تراها؟"

يقول المسيري؛ شعرت فجأة بأن أثقال أيدولوجية كنت مكبلاً بها قد سقطت، وكانت تلك المرة الأولى التي أشعر فيها باختلال الإطار الأيديولوجي المادي الذي كنت أعتقده، ولكن نقطة التحول الحقيقية كانت في فكر المسيري حين رزق ببنت، ولاحظ كيف تحول اهتمام زوجته بشكل كامل نحو هذا المخلوق الصغير القادم إلى الحياة حديثاً، ودفعته للتساؤل عن مصدر تلك العاطفة المتدفقة لهذه الأم تجاه طفلتها، أهي نتيجة لأنزيمات مثلاً! وتوصل لقناعة بأن النموذج المادي؛ غير قادر على إعطاء إجابة حول ما حدث، وأن تركيبة الإنسان تتحدى

القوانين المادية، ولا يمكن تفسير الإنسان إلا من خلال (لإله إلا الله)، ليتحول بعدها المسيري إلى أحد أبرز رموز الفكر الإسلامي المعاصر، بعد أن مرّ بنفس التجربة التي مرّ بها المفكر الكبير الدكتور مصطفى محمود رحمهم الله أجمعين، وهي رحلة الشك المؤدي إلى الإلحاد، ليعاود الشك ليسيطر عليهم ثانية ويقودهم إلى الإيمان.

بينما نجد آخرين؛ قد تجمد فكرهم عند نقطة محددة، فبدأت رحلتهم بالشك حتى بلوغ الإلحاد؛ ليتوقفوا عن الشك مجدداً، والتجمد عند يقين فاسد في ذاته، مفسد لغيره؛ على اعتباره الحقيقة، كأحد كبار الملاحدة على سبيل المثال، والذي أهداه قريبه كتاباً عن الماركسية وهو في سن الثامنة عشرة، أثارت في عقله القاصر جملة من التساؤلات، والتي أوصلته إلى الإلحاد، وعاش حياته وهو يناضل من أجل نشر فكره، ومهاجمة الثوابت؛ بل والسخرية منها.

بينما الباحث عن الحقيقة بإخلاص؛ لابد وأن يهتدِ في النهاية إلى الحقيقة التي لا يمكن الطعن فيها أو زعزعتها، ويتمسك بيقين صالح في ذاته، مصلح لغيره.

وبذلك نجد أن ذلك المولود الضعيف؛ كان قادراً على تفجير تساؤلات كثيرة في أعماق إنسان كان غارقاً في أيدولوجيات منحرفة ومعقدة، وبأن طفلاً لاحول له ولا قوة؛ كان سبباً في تحطيم معتقدات أكثر منه قوة.

حين نقرأ أو نتابع أحاديث لأمثال هؤلاء المفكرين؛ نشعر بثقل وعمق ما يتم طرحه من معلومات، بينما نجد أن حياتنا باتت رهينة لآراء وأفكار شخصيات أقل ما يمكن القول عنها أنها هامشية، وتنظّر علينا وتعطينا دروساً في الحياة، بينما أن أبسط بحث في حياتهم الخاصة؛ سيثبت كم أن حياتهم بعيدة عن المثالية، وخالية من أي قيمة حقيقية.

إننا نسبح وسط محيط متلاطم تموج فيه الأفكار، وكل ذلك نتعرض له صبح مساء، ويتعرض له أبناءنا الذين لازالوا لا يمتلكون الغربال القادر على غربلة كل ذلك، وعلى تصنيفها التصنيف السليم، وبالتالي هم فرائس سهلة ومتاحة لكل تلك التجاذبات؛ التي تمتلك قوة لا يستهان بها في الإقناع أو طرح الأسئلة المزلزلة؛ التي تؤدي بهم إلى الشك المطلق، والذي نجهل تماماً؛ أين وفي أي نقطة بالتحديد سيتجمد فكرهم، أعند اليقين الفاسد، أم الصالح؟

الحوار العميق، وربما الدردشات العابرة مع الأبناء؛ هي الوسيلة لمنحهم جرعات من التحصين؛ لمواجهة أي خلل قد يحدثه الآخرون في فكرهم.

لابد وأن نتحدث إليهم، ونمرر لهم رسائل ضمنية، تمنحهم الرؤية السليمة للحياة والإيمان، وأن نقول لهم بأن العبادات هي فرائض نؤديها لننال رضى الله، وليست من أجل مكاسب دنيوية، وأن الصلاة؛ ليست من أجل أن نحظى بالتوفيق فقط، وأن الصوم؛ ليس من أجل صحة البدن فقط، وأن الصدقة؛ ليست من أجل البركة فقط؛ بل إنها وسائل لنيل الثواب في الآخرة، حتى إذا تعرضوا لامتحانات الحياة القاسية مستقبلاً؛ لا يؤدي بهم ذلك للشك في مصداقية كل الثوابت التي قدمنا عنها تفسيرات سطحية ومادية، تفتقر للروحانية.

في مرحلة ما من حياتي الخاصة؛ مررت بعدة صدمات متتالية، وكانت لها نتائج سلبية علي بالتحديد، وكانت الشكوك تساورني حول الكثير من الثوابت التي اعتقدتها، ولكني كنت أدفع بها بعيداً عني بترديد عبارة (اللهم عدلٌ في قضاءك) لألجم بها تساؤلات كثيرة لا أمتلك إجابة عليها، وأنني أجهل من أن أدرك حكمة الله من وراء حصول تلك الصدمات!

ليفاجئني ابني الصغير البالغ من العمر حينها ٩ سنوات بسؤال: **"أبي أنت تصلي، فلمَ يحصل لك كل ما حصل!"**

لأخذ بعدها نفساً عميقاً للحظة؛ قبل أن أجيب على سؤاله بإجابة قد يكون لها أثر مدمر على فكره مستقبلاً، وأجبته بالقول: "إن العبادة التي أمارسها؛ هي من أجل رضى الله الذي فرضها علينا لأنه يستحقها، ولا يجب أن أنتظر مردودها في الدنيا؛ بل هي من أجل ثواب الأخرة، ومهما كان شكل الحياة التي أعيشها فلابد لي أن أطيع ربي"

لأدرك بأن الإجابة على أبسط الأسئلة؛ قد تتطلب إجابة معقدة، وأن الإجابة البسيطة على ما يبدو سؤالاً بسيطاً، قد يحدد نهج إنسان مدى الحياة باليقين الفاسد أو الصالح، بعد صراع مرير مع شك.

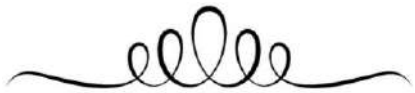

شذرات

لا تتعجب

من سقوط أحدهم سقوطاً مدوياً

من على قمة النجاح

فبعض من رفعتهم الصدفة

تهوي بهم الزلة

مهد نيوتن

مهد نيوتن؛ هو اسم يطلق على بندول الكرات المتأرجحة، والذي قام بتصميمه العالم إسحاق نيوتن، والذي يبدأ بالحركة بمجرّد سحب أحدها، ومن ثم إطلاقه ليصطدم بالكرة التالية، والملتصقة بعدد من الكرات، لتستمر بعدها تلك الحركة المتأرجحة للكرات دون توقف، وكلما قمنا بالسحب أكثر؛ كلما تحركت الكرة الأخيرة بنفس المقدار.

فالاصطدام الأول للكرة الأولى؛ هي المحفز لبقية الكرات لتستمر بالحركة بشكل نافر بداية، ثم الارتداد بشكل عكسي.

مثلها مثل كل الأفكار المتطرفة، فهي محفزة لبقية الأفكار المخالفة لها للتحرك والارتداد العكسي المقاوم، وبذلك فمن الطبيعي أن يؤدي الفكر اليميني المتطرف؛ إلى تنشيط الفكر اليساري، ليسير باتجاه التطرف الموازي، وبنفس مقدار القوة،

وذلك تماشياً مع القانون الفيزيائي القائل: (بأن لكل فعل ردة فعل مساوية له بالقوة ومعاكس له بالاتجاه)

فبعد أن يكون فكر محدد؛ قد سيطر على العقول، وحياة الناس لفترة من الزمن، وأقصى الآخر بشكل عنيف، فمن الطبيعي أن يتغول الفكر المخالف متى وجد الفرصة للظهور، وفرض السيطرة، ومن الطبيعي كذلك أن يحاول كتم انفاس الفكر الذي كان سائداً.

وبذلك يتحول الفكر الذي كان مغلوباً على أمرة ومثيراً للتعاطف؛ إلى جلاد عديم الرحمة، يسعى لتدمير من كان وراء اضطهاده.

والمشكلة أن الكرات المتصادمة في النموذج الذي قدمناه كمدخل للحديث، لا يمكن لها أن تتوقف عن الحركة من تلقاء نفسها؛ بل أنها ستستمر بالتأرجح إلى ما شاء الله لها أن تدوم.

وبذلك تستمر الحرب التي تدور بين فكرين مختلفين بشكل نمطي غير قابل للتوقف، فحرب الأفكار تختلف عن الحروب التي تتم بين الجيوش حد أن ينهك أحد الطرفين، ويعلن استسلامه للطرف الآخر، أو أن تنتهي بدمار أحد الأطراف.

ولكن الأفكار لها القدرة على الصمود بشكل أكبر؛ بل إنها قادرة على التفريخ، وإنتاج أفكار أخرى متشعبة قد تتطرف للحد الذي تشذ فيه عن الفكرة الأم ذاتها، وبذلك نجد أن وقود هذه الحرب لا يمكن له أن ينضب؛ بل إن تلك المجاز الفكرية ستضل دائرة.

ولنا أن ننظر إلى الكرة التي تتوسط جميع تلك الكرات؛ لنجد أنها لا تكاد تتحرك؛ بل إنها تضل تهتز اهتزازات طفيفة، ولا يمكن لأي قوة أن تزحزحها عن مكانها، تماماً كأي فكر وسطي معتدل، يضل ثابتاً وقادراً على امتصاص كل الصدمات، وصامداً أمامها، ليكون بذلك بعيداً عن كل تطرف باتجاه اليمين أو اليسار، ونائياً بنفسه عن أي حروب يخوضها ضد أي مخالف.

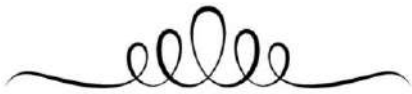

شذرات

توسد حلمك ونم

فربما تراه واقعاً في المنام

فالواقع لم يعد مكاناً

يليق بحلم

أزمة ضحك

هناك من ينتقد اليوم؛ ويسخر من نوعية ومستوى الكوميديا التي كانت تقدمها السينما في بدايات وأواسط القرن العشرين، ملمحاً إلى تفاهة وسذاجة ما كان يتم تجسيده من مواقف كوميدية في تلك الأفلام.

ولعل شخصية (تشارلي تشابلن) مثلت أبرز أيقونات السينما الكوميدية في تلك المرحلة، إلى جانب الثنائي (لوريل وهاردي) وبالرغم من أن السينما كانت تقدم أفلام صامته في بداياتها؛ إلا أن تلك الأفلام كانت قادرة على إثارة ضحك الجمهور، وتقديم تسلية جميلة لإنسان ذلك الزمن.

ولو عدنا إلى الوراء أكثر، وتصفحنا الكتب التي تناولت وقدمت مقتطفات من نوادر الشعوب، سندرك مدى الحبكة الغير متكلفة لتلك النوادر، والتي يمكننا وصفها بأنها (نكات)

ذلك الزمن، والتي كان يتم تداولها في المجالس بين الحضور في ليالي السمر.

من وجهة نظري؛ لم تكن تلك النوادر أو تلك المواقف التي تم تجسيدها لاحقاً في أفلام السينما؛ نوع من التفاهة أو السخافة؛ بل أن التوصيف الأدق لها هي البساطة، تلك البساطة التي تتماشى ونمط الحياة حينها، بحيث كانت حتى المواقف البسيطة قادرة على أن تشكل حالة تثير ضحك الإنسان الخالي من ضغوط الحياة، وبالرغم من إيماني بأن الحياة لم تكن يوماً وردية وخالية من الضغوط، إلا أنها قياساً بحياتنا العصرية هي أشبه ما تكون بالحياة في المدينة الفاضلة، الخالية من منغصات العيش.

وعلى العكس من ذلك؛ فإني أجد أن ما يتم تقديمه من كوميديا اليوم؛ هو الأقرب للابتذال؛ بل والإفلاس.

لقد غابت عن حياتنا ما يمكننا تسميتها بكوميديا الموقف، أو على الأقل تراجعت مقابل كوميديا من نوع أخر، كوميديا تتبع نهج السخرية والتنمر لا أكثر، وحين أدرك بعض (كوميديانات) زمننا مدى إفلاسهم، وعجزهم عن ابتكار

موقف كوميدي، توجهوا نحو الابتذال، وباتت السخرية من الأخر؛ هي وسيلة مثالية للخروج بمادة كوميدية، السخرية التي تشمل لغات أو لهجات الأخرين على سبيل المثال وثقافاتهم، وتحولت الملابس المبهرجة والتي لا تليق إلا بمهرج، أحد السبل التي يتم تطعيم المواقف الكوميدية بها؛ بل أن هناك من يتخذ من الإعاقة الجسدية لدى الناس؛ مادة مباحة للتنمر والسخرية.

وازدحمت أجهزتنا المحمولة؛ بمقاطع يتم تداولها في مجموعات (الواتس أب) لشخص سقط من على الكرسي، أو أخر اصطدم باب زجاجي عن طريق الخطأ، أو ثالث عضه كلب في ساقه، إضافة إلى المقاطع التي يتم تصويرها بإعداد مسبق من طرف من يسمون أنفسهم بالناشطين على وسائل التواصل الاجتماعي.

كل تلك المواقف التي أشرت إليها؛ غير قادرة على دفعي للضحك وإن جاهدت نفسي على فعل ذلك، للحد الذي بدأت أبحث فيه داخلي عن سبب عدم قدرتي على الضحك؛ حين مشاهدة هذه المقاطع، واهتزت ثقتي بنفسي، وبدأ الشك يساورني حيال عدم قدرتي على مجرّد الابتسام؛

إن أخطأت وفتحت أحد تلك المقاطع المرسلة على أحد المجموعات عن طريق الخطأ.

في حين أرى مدى رواجها بين الناس وانتشارها، من خلال التداول الكثيف لها، ما يعني أن هناك من يستمتع بمشاهدتها وتثير ضحكه!

إذاً هي أزمة ضحك، أعاني منها أنا شخصياً، أو يعاني منها الأخر، فلا بد أن يكون أحدنا من يعاني من تلك الأزمة، فمن يشاهد موقف يستحق الضحك؛ وغير قادر على الضحك، هو في أزمة حقيقية، ومن هو مستعد للضحك على كل سخافة ضناً منه أنها باعثة على الضحك؛ هو كذلك يعاني من أزمة.

هي ثقافة بلا شك، فحتى الضحك على ما لا يثير الضحك تعود إلى ثقافة الفرد، ومدى استعداده للضحك أو السخرية من أي شيء؛ بل والترويج له على اعتبار أن تلك المواقف أو المقاطع هي مقاطع تتمتع بمستوى كوميدي معتبر، ما أدى إلى انزواء الكوميديا الرصينة والحقيقة وتراجعها، وترك المساحة خالية للتفاهات.

شذرات

الحب شعور لا أحد يدرك حقيقته

حتى الواقعون فيه

مجرّد شعور ينشأ من العدم

ويغرق في الأبدية

لنتفق

هناك مقولة مترسخة في عقول كثير من النساء، تقول بأن الرجل يتجنب الارتباط بالمرأة القوية.

بداية لنتفق على أن ليس كل ما نعتقده؛ يصلح لأن نضعه موضع القاعدة، أو لنكون أكثر تسامحاً؛ ونتفق على أن لكل قاعدة شواذ على الأقل.

ثم لنتفق على تعريف واضح ومحدد، يمكننا من خلاله تصنيف من التي يكن وصفها بالمرأة القوية، ومن لا تنطبق عليها هذه الصفة، ولنطرح الأسئلة من قبيل؛ هل المواقف هي من تحدد مدى قوة المرأة، أو الثقة في النفس، أو قوة الإرادة، أو الاستقلالية؟ أم كلها مجتمعة، أم يكفي أن تمتلك المرأة واحدة منها لتوصف بالقوية!

وبعدها لنخض نقاشاً حول ماهيّة المواقف المبدئية التي عليها اتخاذها في الحياة، لنتمكن من تحديد في أي جانب كانت تقف، أفي الجانب الصحيح أم الخاطئ! ولنتساءل هل كان مصدر الثقة في النفس تجارب حياتية سابقة، أم مجرّد أوهام عن الذات! ثم لنتناول نوعية المعوقات التي واجهتها لتتمكن بقوة إرادتها من تجاوزها والانتصار عليها، وهل كانت تلك المعوقات حقيقية؛ أم أنها كانت هي من خلقتها بسبب مواقفها!

وأخيراً لنناقش مسألة استقلاليتها، وهل الاستقلالية تعني القدرة على اتخاذ القرار السليم في اللحظة المناسبة، أم تعني النزوع للتمرد؛ والدخول في مواجهة وصراع مع كل ما يخالف وجهة نظرها.

الرجل لا يتجنب الارتباط بالمرأة القوية؛ بل على العكس من ذلك، فالرجل يميل وينجذب فطرياً للمرأة التي تمتلك صفات مميزة، والتي يجد عندها ضالته من الرأي الأنسب في المواقف الصعبة؛ بل ويحتاج لقوتها أحياناً.

ولكن هناك إشكالية في صياغة التعريف، ومن ثم التصنيف المبني على هذا التعريف.

المرأة القادرة على تحديد أهدافها في الحياة، والسعي وراء تحقيق طموحاتها، والقادرة على الحفاظ على علاقة سليمة داخل محيطها الأسري والاجتماعي، والقادرة على الحفاظ على تماسك حياتها الزوجية، وتربية أبنائها، هي في الحقيقة امرأة قوية -مجرد وجهة نظر شخصية مطروحة.

فالقوة ليست دوماً في الانتصار في مواجهة الصعوبات، فقد تكون القدرة على تجنب نشوء مثل تلك الصعوبات بحد ذاتها قوة، ولكن معززة بالذكاء.

وأخيراً لنتفق على معيار محدد، يوضح ملامح الشخصية المتمردة، فأحياناً يمكننا معرفة الشيء من خلال ضده.

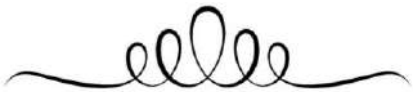

شذرات

عندما يصور لي خيالي البائس خيالات
ساذجة، ويحملها عقلي المتواضع على
محمل الجد، حينها قد أتصور أني قادر على
الطيران بجناحي حمامة

تلك الخيالات تراودني بين الحين والآخر،
بين خذلان وخذلان، بين مرحلة انهيار
ونهوض جديد

السيدة ريشة

اعتاد الناس على مناقشة قضاياهم، والخوض في تحليل الأحداث التي تدور من حولهم، وخاصة تلك التي تمس شئونهم الاقتصادية، والتي سيكون لها انعكاس من أي شكل كان على معيشتهم، ومستوى رفاهيتهم، وتلك القضايا التي تتعلق بمجتمعهم، وأخلاقهم، وقيمهم، ومعتقداتهم.

والجميع سواسية في ذلك، فمن شخص يحمل شهادة دراسات عليا، إلى الشخص البسيط الذي لم ينل حظاً وافراً من التعليم، فكلاهما يحمل وجهة نظر خاصة به، حيال تلك الأحداث والمتغيرات، بغض النظر عن مدى عمق الرؤية من عدمها لدى أي طرف.

ودائماً ما كان الكاتب هو لسان المجتمع، الذي ينطق بهمومه وأوجاعه وهواجسه، من خلال مقال ناقد، أو مسرح ساخر،

أو قصيدة نازفة.

ولكن من وجهة نظر شخصية، أجد أن دور الكاتب أكبر من أن يكون مجرّد معلق على الأحداث؛ بل عليه أن يكون صانعاً لها، وبدلاً من أن يكتفي بالتوصيف، عليه أن يكون قادراً على الاستشراف، وقراءة في المألات، وتشخيص الحالة.

أن يملك رؤية، أن يطرح فكرة، أن يرسم طريقاً، أن يشعل شمعة، أن يكون عميقاً، منطقياً، متجرّداً، عليه أن يبلغ عين العاصفة، أن يصيب كبد الحقيقة.

أن يكون تقليدياً محافظاً، وتقدمياً راكضاً نحو الحداثة، وأن يمتلك تلك القدرة على الموازنة بين هاذين النقيضين.

على الكاتب أن يكون الكل في واحد، أن يكون باحثاً، مفكراً، ناقداً، على دراية بالتشريع، قارئاً في التاريخ، مواكباً للتطور العلمي، مطّلعاً على الثقافات، ملماً بالفلسفات، من أجل أن يكتب سطراً في مقال.

وإلى جانب كل هذا، أن يمتلك ذكاءً لغوياً قادراً على الحديث بلغة جاذبة، مبهرة، قريبة من القلب.

ليس مطالباً بأن يملأ الصفحات باللطميات، على أمجاد الماضي المفقود، ولا أن يبحث دائماً عن مسئول يلقي عليه باللوم على الحاضر البائس؛ بل عليه أن يلهم العقول، وينبه الضمائر، ليزرع الوعي في عقول الجيل القادم، ليكون قادراً على إعادة أمجاد الماضي، وتغيير الواقع.

ألا تكون مواقفه مبنية على ردود فعل، بل نابعة من مبدأ، فالمواقف متبدّلة، متغيّرة بتغيّر المحفزّات، وبعد اكتشاف الحقائق، واتضاح الرؤية، بينما المبادئ، راسخة، متجذّرة في اللاوعي، يتم تكوينها عبر تراكمات، عبر سنوات من الخبرة.

المتعلم، شخص لا يزال يبحث عن الحقيقة، والمثقف، شخص يدرك الحقائق، والمفكر، شخص يتقن فن توظيف الحقائق، والفيلسوف، من يوجد تلك الحقائق ويثبتها أو ينفيها، وعلى الكاتب أن يكون كل هؤلاء، لينال شرف رفقة سيدة المقام المنيف (السيدة ريشة)

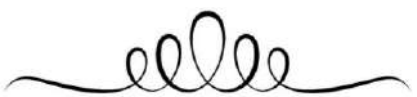

شذرات

الصدمات

تذيقنا مرارة الموت ألماً

ولابد أن نتعلم

لذة الولادة من جديد

لا تعبثوا بالنقط

لا يمكن لأحدهم أن يعبث بالنقطة الموجودة فوق حرف (ذ) وأن يبدل مكانها، لتصبح في بطن الحرف مثلاً، لمجرّد أنه أراد فعل ذلك، ومن ثم يطالبني بقراءة سليمة للكلمة، وإن فشلت في ذلك؛ اتهمني بالجهل بالقراءة!

هناك مسلمات وقواعد، وإن لم يشأ البعض الاعتراف بها، فمنذ أن وضعت تلك النقاط على الحروف، في القرن الإسلامي الأول على أقل تقدير، استحسنها الناس، ووجدوا أنها تلبي الحاجة التي من أجلها وضعت، ولم تظهر هناك أي حاجة لتغيير مكانها، وطالما أن بقاءها على هذا الشكل لا ينتج عنه ضرر، أو أن تغييرها لا ينتج عنه أي فائدة، فلمَ قد نفكر في العبث بها!

في العصور الماضية، نشأت العديد من الديانات والمعتقدات، التي اندرجت تحت تصنيف الديانات الغنوصية، والتي تستمد تعاليمها ومبادئها بشكل أساسي، من بعض الأحلام والرؤى، واللقاءات المزعومة مع عالم الما ورائيات، وعادة ما كان كهنتها يلجئون إلى طقوس وممارسات خاصة، وجلسات لا تخلوا من استنشاق أو تعاطي لبعض المواد المهلوسة، والتي بلا شك كانت هي وراء كل تلك الرؤى.

أما في عصرنا الحالي، فنحن نشهد ولادة معتقدات جديدة، قائمة بشكل مطلق على وجهات النظر، من قبيل (أنا أرى، أنا أعتقد، أنا أظن) فنجد من يحاول طرح تفسيرات جديدة للقرآن الكريم، وذلك من خلال وجهة نظر لا تستند على أي إثبات، وكل ما لا يمكن إثباته فيظل في دائرة (النظرية) وحجتهم تقوم في ذلك على لي عنق الحقيقة، وتمويه الكذبة لتصبح كالحقيقة، وتجاهل كل ما ينسف رأيهم، لا أكثر.

فلا صلاتنا صلاة صحية -من وجهة نظر مزعومة- ولا صيامنا صيام صحيح، وكل ما اتفقت الأمة على تحريمه، هو حلال، وأن عورة المرأة تقتصر على تغطية (إبطها) وأن أكل لحم الخنزير حلال! وأن الآية الكريمة التي تشير إلى تحريمه

بكل وضوح، إنما تتحدث عن مسألة مختلفة تماماً، وأن اللحم في هذه الآية يقصد به (اللُحمة) وأن المقصود بالخنزير هنا جاء من فعل (خَنزَرَ) أي خان، وبذلك فإن الفهم الصحيح للآية هو (تحريم خيانة اللُحمة!)

حق التعبير وإبداء الرأي لابد وأن يكون محترماً، وفي ذلك يقول الفيلسوف فولتير: "قد أختلف معك في الرأي، ولكني مستعد أن أدفع حياتي ثمناً من أجل حقك في التعبير عن رأيك" ولكن من واجب الطرف الذي يبدي رأيه، أن يحترم عقول الآخرين بداية، وألا يستخف بهم، وحينها فقط يكون له واجب الاحترام.

ولا يمكننا هنا، الاستخفاف بتأثير تلك الآراء على الناس، فالإنسان الذي تمكن بعض المهرطقين من خداعة، عن طريق تشريعات مستنبطة من أحلام، من الأسهل خداعة عن طريق وجهة نظر.

التطرف مسألة بغيضة، سواء التصقت بالتدين، أو سواه، وحتى المبالغة في تمجيد قدرات العقل البشري، يعد شكلاً من أشكال التطرف، خاصة أننا نملك الدلائل على إمكانية خداعة،

عن طريق العديد من التجارب.

ناقشوا الأفكار، الآراء، وجهات النظر، التفاصيل، وابتعدوا عن الثوابت، لأنها ستظل تتمتع بقدسيتها، وإن أراد البعض العبث بها.

أتركوا النقاط حيث وضعت، فقد رفعت الأقلام، وجفت الصحف.

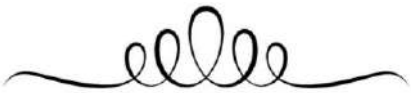

شذرات

المنطق المشوه نتاج فكر منحرف

يتلقفه عقل فارغ

ويحتج به سفيه

قيم عصرية

بما أنني أصنف نفسي من الفئة التي تنتمي إلى جيل ما بعد جيل الطيبين، وممن أدركوا الجزء الأخير من إرث البشرية الذي تم صياغة ثقافته على مدى قرون طويلة، بحيث أعتبر من الجيل المخضرم الذي عاش جانباً من طبيعة تلك الحياة بجمالها وبساطتها، وعايش كل التغيرات التي حصلت لاحقاً وبشكل متسارع.

ولاحظ تلك التغييرات التي طالت كل شيء تقريباً، والتي شملت بلا أدنى شك براءة الطفولة، من خلال التغييرات التي حدثت على نوعية الألعاب، ووسائل الترفيه الاعتيادية التي مارسناها كأطفال تلك المرحلة.

أذكر نفسي حين كنت طفلاً؛ كيف أتسمّر أمام التلفزيون قبل موعد بدء البث بنصف ساعة، بانتظار بدء الفترة

المخصصة للصغار، لأتابع الرسوم المتحركة.

من هم في مثل سني يذكرون حتماً الكثير من تلك المسلسلات التي كان يتم عرضها، من أمثال مسلسل (عدنان ولينا، هايدي، مغامرات سندباد، افتح يا سمسم) وغيرها العديد من الأعمال.

لست هنا بصدد سرد تلك الأعمال، ولكني أود الاستشهاد بها في معرض حديثي للإشارة إلى مضامين تلك الأعمال التي كانت حتماً تخاطب اللاوعي لدى الطفل، لترسخ في عقله الباطن مضامين محددة، والتي بمجملها كانت تدور حول المحبة، والعطاء، وكل القيم الجميلة التي ينبغي زرعها في الطفل، حتى يكبر وهو يحمل ولو جزءاً منها.

إلى جانب ما كنا نتلقاه من العائلة من قيم أخرى، تحضنا على التسامح، وانتقاء الالفاظ الحسنة في حديثنا مع الأخرين، واحترام الجيرة والقرابة.

حقيقة لست متابعاً لكثير من مسلسلات الرسوم المتحركة التي تم عرضها لاحقاً، ولكني من خلال ما كنت اشاهده بشكل عابر لتلك الأعمال، يمكنني استخراج الفروقات الكبيرة، والبون الشاسع بين نوعيتها.

أبناءنا اليوم؛ يتابعون العديد من الأعمال الحديثة، والتي تزدحم بمشاهد العنف، وتخلوا من أي مضامين أخلاقية معتبرة، مجرّد لقطات سريعة وأصوات صاخبة، وشخصيات خيالية بعيدة كل البعد عن الواقع، لا يمكنها أن تقدم الكثير لتنشئة طفل يتمتع بقيم أخلاقية عالية.

أضف إلى ما سبق؛ تبدل أساليب التربية في المنزل، وقيم العائلة، واتباع أفكار تربوية مختلفة، بتنا نرى نتائجها على الجيل الحالي.

دون إغفال لدور المدارس الفكرية الحديثة والمتعددة، والتي أغرقت (السوشيال ميديا) بعبارات لا يمكنها بأي حال أن تصنف ضمن قيم المحبة؛ بل هي في مجملها قيم تدعو لتمجيد الذات، والأنانية، وتحقيق المصالح.

كل تلك العوامل مجتمعة؛ أفرزت لنا سلوكيات بتنا جميعاً نشكو من تفشيها، ولعل الحوادث والجرائم البشعة التي وقعت مؤخراً في عدد من الدول؛ هي نتيجة طبيعية لهذه الذات النرجسية، التي لا تتقبل فكرة أن تواجه بالرفض من الطرف الآخر، نتيجة لتضخم الأنا، والشعور بالتميز الزائف عن الآخرين،

وعدم تقبل الهزيمة والفشل، ليكون الاعتراف بالحقيقة درباً نحو معالجة العيوب الذاتية.

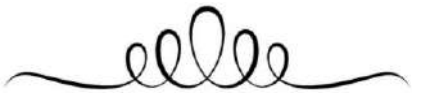

شذرات

الصعود للقمة يتطلب منا جهداً كبيراً

اما بلوغ القاع فلا يلزمه أكثر من خطوة عند بداية المنحدر

ومن ثم ستقوم الجاذبية بدورها

تهذيب الذات والسمو بها رحلة قاسية

ولكن الانحطاط

يمكن إنجازه بقرار

الأحدث.. إلى مالا نهاية

كم مرة اشتريت منتجاً متحفزاً للميزات التي يوفرها لك، ولكنك لم تستخدم أي من تلك المميزات بعد اقتناءك له؟

وكم مرة اشتريت منتجاً، وقامت الشركة بطرح موديل أحدث من نفس المنتج، بعد أسابيع قليلة، وانخفض سعر الإصدار الذي تملكه إلى النصف؟

وكم مرة هرولت مسرعاً نحو أحد المتاجر بعد مشاهدتك لإعلان عن تخفيضات، لتخرج في النهاية بأكياس التسوق الممتلئة بالبضائع التي لم تفكر يوماً بأنك بحاجتها؟

نحن ندرك جيداً بأن هناك جيوش من العقول التي تعمل على مدار اليوم حول العالم لتصميم إعلانات تستفز رغبتنا في الامتلاك، ومع ذلك نندفع بحماس نحو ذلك المنتج.

هناك من يوهمنا دائماً بأننا بحاجة إلى شيء ما، شيء لم نفكر سابقاً بحاجتنا إليه!

نحن لا نشعر ببعض نواقص وسلبيات منتج ما؛ إلا بعد أن يقوم المصنّع بالترويج لمنتج أحدث، ويخبرنا عنه بأنه يتفوق على سابقه، ويتجاوز سلبياته.

الإنسان منذ القدم، يسعى لامتلاك الأكبر، والأفضل، والأجمل، ويحاول دائماً أن يمتلك ما هو أفضل مما يمتلكه الأخرون، أو أن يشعر بأنه يتفوق عليهم بميزة، حتى لو تطلب الأمر منه أن يشارك للفوز في منافسة لأكل أكبر كمية ممكنة من قرون الفلفل الحار، وتتويجه كبطل، بالرغم من أن الفوز في منافسة مشابهة قد لا يمثل أي قيمة حقيقة، ولا تعود عليه بربح يضاهي الفوز في سباقات الفورمولا، أو الملاكمة على سبيل المثال!

ولكن الأكبر، والأفضل، والأجمل، صفة لا يمكن أن تدوم إلى الأبد، ليستمر جميع المتنافسين بالدوران في حلقة كسر الأفضلية لما سبق.

واليوم نحن نشهد إضافة مصطلح تنافسي جديد إلى ما سبق ذكره وهو (الأحدث)

فالتكنولوجيا اليوم، بدأت بتجاوز كل توقعاتنا المتواضعة حيال الممكن، وتبهرنا بابتكاراتها، وإمكانياتها، وهناك من بات مهوساً بالركض خلف هذا التطور لمجرّد الهوس به.

وعملية التطوير، والتحديث، وابتكار الأفضل، في حقيقتها تصل بنا إلى عملية لا منتهية من الاحتمالات، بجانب أنها متسارعة، ولا يمكننا مجاراتها إن كنا مهووسين بالتملك.

ويجب علي كمستهلك نهائي للسلعة، أن أدرك بأنني أدفع قيمة وتكلفة كل تلك الابتكارات والمميزات، وأنها لا تقدم إلي بالمجان؛ وعليه فأنا مطالب بان أقيم مدى استفادتي الحقيقية منها، قبل أن أقدم على اتخاذ قرار الشراء.

رغبتنا تلك في الامتلاك قد تعود لأسباب كثيرة، منها الشعور بالسعادة لمجرّد امتلاك شيء جديد، وإحداث تغيير ولو كان طفيفاً في حياتنا، أو بسبب رغبتنا في التفوق على الأخرين، والشعور بالأفضلية، أو لمجرد غريزة حب التملك والجشع فينا كبشر.

ولكن علينا أن ندرك أن كل أفعالنا لها نتائج تنعكس علينا، حتى إن لم تكن محسوسة أحياناً.

يتحدث عالم النفس (يوهانيس هيفينغ) من جامعة فورتسبورغ، عن نتائج التجارب التي أجرها على شريحة من الناس، عبر تقنيات التصوير لنشاط الدماغ في مواقف معينة، والتي خلص منها إلى أن الأشخاص الجشعين بطبعهم يميلون للمخاطرة أكثر من سواهم،

وأن لهم ردود فعل أكثر هدوءاً في مناطق الدماغ المسئولة عن العقاب والخسارة؛ مما يعمل كنوع من مضادات الإحباط لديهم.

وبذلك نجد أن هذا النوع من الجشع وحب التملك له مفعول المخدر، ولا بد أن نعي بان المخاطرة الغير محسوبة والمستمرة، وعدم الشعور بألم الخسارة، والاستمرار على نفس النهج والسلوك؛ حتماً ستكون له نتائج سلبية عاجلاً أو أجلاً على الفرد.

كما أن هناك من يرى، بأن رغبتنا في اقتناء المزيد، نابع من شعورنا بأن امتلاك المزيد يمنحنا شعوراً بأننا سنستمر بالعيش طويلاً، وإلى أن نستهلك كل ما نشتريه ونخزنه، وذلك شعور زائف وخادع.

إننا ننفق أموالنا في منتجات، تنخفض قيمتها، وتستمر

بالانخفاض؛ بمجرّد إصدار فاتورة الشراء، وبصرف النظر عن العمر الافتراضي القصير نسبياً للمنتج أصلاً.

يجب أن يكون الدافع وراء شراء أي منتج؛ هو الحاجة إليه، وليس مجرّد الرغبة في امتلاكه، وعلينا أن نعود لتقييم المنتج وفق مهمته الأساسية، والخدمة التي يؤديها لنا في حياتنا، دون النظر إلى المميزات الثانوية التي قد يوفرها لنا، والتي قد لا نكون بحاجة حقيقة إليها.

في ختام المقال، أتمنى أن تكون ممن طرح على نفسه الأسئلة التي طرحتها في البداية، ولو لمرّة واحد على الأقل، وتوصلت لإجاباتك الخاصة عليها.

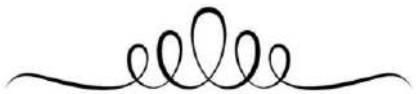

شذرات

ما أسوأ أن يكون لدى أحدهم عقل كالعورة

تستوجب عليه الفضائل

ستره بالصمت

المنطق.. الحاضر العائب

المنطق، ليس له وجود في لغة المؤدلجين، واقع نعيشه ونلمسه في كثير من ساحات النقاش؛ التي قد نضطر لخوضها مرغمين بين الحين والآخر.

لغة المنطق دائماً ما تكون غنية بالمفردات، ودقيقة في التوصيف، وعادلة في التناول، بيننا الأيدلوجيا على الجانب الآخر؛ عادة ما تتصرف بجبن سافر، وهمها الأول هو اتخاذ وضعية الدفاع، ولكن باتباع خير وسائلة وهو الهجوم.

فالهجوم الذي يستهدف شخص الطرف الآخر؛ هو أفضل السبل للمراوغة، وتشتيت الخصم، والتشعب الذي يستدرج النقاش للهوامش، لأن صاحب الأيدلوجيا يدرك بأنه بات محاصراً، وبأن الكماشة لن تلبث وأن تطبق على عنقه، فيبتكر تلك الوسائل للتملص من الفخ.

الكثير منا يدرك، بأن المنطق هو الحاضر الغائب في العديد من النقاشات، فهو كضيف الشرف له حضور يحترم، وليس له تأثير ملموس.

فالجميع يزعم بأنه منطقي، ويدرك الحقائق المنطقية، تماماً كالسؤال الذي وجهته الفنانة سهير البابلي (المعلمة) للفنان سعيد صالح (الطالب) في أحد مشاهد مسرحية (مدرسة المشاغبين) حين تسأل: "تعرف إيه عن المنطق يا مرسي؟" ولجهله بالإجابة؛ يرد على السؤال برد أبعد ما يكون عن المنطق!

واختلاف المصالح قد ينتج عنه اختلاف في منطق كل طرف، فالعصر له منطق لا يرى بأساً من كسر القيم، والتعاملات التجارية لها منطق أناني تسعى للكسب بغض النظر عن الوسيلة، أو عدد ضحايا، وصاحب الهوى له منطق أبعد ما يكون عن الاعتدال.

إذاً.. علينا أن نتساءل هنا، هل المنطق هو الغائب في النقاش، أم أن الضمير الذي هو بمثابة الميزان الذي به توزن الأمور؛ هو من علينا البحث عنه في أعماق المؤدلجين.

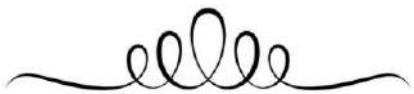

شذرات

حين يرفض واقعك

أن يكون مرآة تعكس أفكارك

فحينها.. تتحول أنت لمجرّد مؤدي ثانوي

في مشهد ساخر

يعكس حقيقة مؤلمة

صدر للمؤلف

- رواية بعنوان (خريف لأربعة فصول)
- مجموعة قصصية بعنوان (كلاسيكيات)
- كتاب نصوص أدبية بعنوان (أدم)

حسابات المؤلف
على برامج التواصل الاجتماعي

Daydream.s.a

Daydream2019

Daydream_s_a

Daydreamsa

Samir alim

عزف منفرد

مجموعة مقالات، يطرح فيها الكاتب رؤيته الخاصة، ووجهة نظره، حيال مسائل متعددة في الحياة، ويتناولها بالتحليل، والتشخيص، وطرح الأفكار.

قد نختلف وقد نتفق، ولكن يظل النقاش برقي؛ وسيلة لبلوغ الحقيقة التي يبحث عنها الجميع.

978-91-89288-65-2

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-

Stockholm

عزف منفرد